

بل ابتدأت

✱

أعني

كلمة قيلت في جلسة الثقة التي انعقدت عندنا في امس غير بعيد .. وما يعني بعد ذلك أقيمت تلاعباً على الكلمات ، ام قيلت حقاً في معانيها التي لها . فالذي يعني انها قيلت وقيلت على نحو واتق متقاتل ثم هي وجدت سبيلها الى نفسي : في رجاء . هو رجاء . الرغبة ، وغبطة هي غبطة الزعم المستكبر على اليأس . . لم اعد اذكر جيداً على لسان من جاءت وموت ، وانما كل ما اذكر انها وردت في كلام احدهم رداً على من ظن ان قضية فلسطين انتهت عند ذلك الحد الباجر الذي بات لها ، وكانت الكلمة هي : ان قضية فلسطين ما انتهت بل ابتدأت . . اقول لا يعني في قليل او كثير كيف القاها رجل السياسة ، وانما يعني منها الجانب الروحي : وفيه العزيمة كيف تتعدى العزيمة ، وفيه الامل كيف لا يقعد به المكروه عن محاولة العمل . هذا الجانب الروحي وفيه كل هذه الامكانيات ، هو الذي افسح لتلك الكلمة مكاناً في نفسي واخل بينها وبين تقديري ذلك التقدير . نعم قد تكون هذه الكلمة في امرها كله لا تزيد من انها من نوع ما يقال في المثل الشائع (كلمة حق اريد بها باطل) او من نوع ما اود ان اعبر (كلمة وهي اريد بها طيش) . قد تكون استعادت في حدود هذا القصد وفي مقداره ، ولكن ذلك لا ينبغي شيئاً من قائلتنا بها ، لا ينبغي شيئاً ان نمتد بان التجربة العربية في فلسطين وان قدمت بعيداً عن الغاية منها ، فلا يجوز ابدأ ان تشككنا بانفسنا ، ان تصيبنا في صميم الثقة بقدرتنا .

فان الظفر الحق ليس في مقدار ما تريح من اشواط ، بل في مقدار ما تحي . في النهاية . الكأ انفاك لم تنقطع . . وفي التاريخ البعيد البعيد والغريب الغريب ، صفحت مشرعة بان العزيمة الحقيقية ليست في الميدان ، بقدر ما هي في الروح ، في المتونة ، في الوجدان . ولا أباركك بعيداً فهذه الحرب الكونية الاخيرة شهدت اضخم المثل ، شهدت كيف تريح العزيمة ، العزيمة التي تشتمل دائماً وان اطعم فيها انها تشتمل في بطن . اللهم ان تشتمل ولا تخبر ، ان يتد فيها عين تربت لا ان يتد فيها كان النهاية بالهبة ، بالومض الساطع الحاد . فهناك حيث المثل الحاسم ، لم تحدث القمة بأنها شهدت الا الفواقر ذات الطاقة على الاستمرار . فكان خطأ كبيراً يبلغ مبلغ الاثم في سياسة الجماهير ، ان يول الكتابيون ما شاوروا في واقع التجربة وآثار رجحها البعيد ، وان يشعروا التهويل بلهجة تنم عن اليأس البنيض والامل المدحور والثقة التي تضعفت عند مشبة المسكنة .

ان سياسة الجماهير مكتشفة بالشوك ، وهو لا يصيب مارسها بقدر ما يرتد فيصيب بالأس الدامي بحجم الحس في الجمهور نفسه . ان سياسة الجماهير تربية بكامل المعنى وان موجههم مريون ما في ذلك شك ، كما ليس من شك في ان الطبيعة الجماهيرية - وليسمع لنا بهذه النسبة الخطأ - لا تختلف عن مثلاً في الطفولة ، فقها يسر وانسراح ، وقابلية للتقيد المنكر والتأزم البالغ الخفيف ، والتيزك كما نعرف في ادق مفاهيمها الحديثة هي : واسطة تحويل الارادي الى ما ليس ارادي ، اي الى شيء . هو بطبيعته يستجيب صفة الجهر . ونحن حين نعرف هذا ونذكر عظم الخطأ الذي تعرض له بالتهويل الواجب والمبالغة المذعورة وهو يستجيب طبع كل آثارها في الاستعداد العام بطابع اللاشعور . نعم ان التهويل الذي يقصد الى الاستغراق المثير على نحو المجاني شيء . له نفعه وله خيره ، اما ذلك التهويل اليأس المقصد فوسيلة عمل عدوة ، وسيلة عمل صهيونية - وان لم تكن كذلك في القصد - ما دلم لا ينتفع بنتائجها الا الصهيونيون انفسهم . فلنعمل اذن ولنعمل في صدق على اقناع انفسنا بأنه لم يقلت بعد من ايدينا كل شيء ، وان القضية قضية فلسطين مسا انتهت بل ابتدأت ، وان التجربة لم تزل بعد في حيزها .

ولكن لكي تكون التجربة بداية حقاً اي بداية واقم ظافر ، يجب ان تكون انت نهاية حقاً اي نهاية اعداد باحث شامل يطبعك على الثقة رغم كل شيء . ومع كل شيء . . ثم لا يحيل منك ريشة في مهب اعصار ، بل اعصاراً ضارباً في مهاب ريش .

عبد الله العبدوي

في هيكل رودان

بضم الدكتور عبد الرحمن بروي

مدرس الفلسفة بجاسة فؤاد الاول



من

التصور المحيطة بالفاتحة الكائنة من دخان المصانع الى القصر
المتلالي ، بالزور : نور الشمس ونور الفن ونور الازهار ،
قبة الانقياد تستضيئ للنفس الزاهية ، فيوف ملازمها النعيمي
الموحي بالسورة كأنها رأس زنجية تجلج بالجلي الهواق تحتها يردد
جنان عظيم ، لكن مهما قبلنا عظمتها فلن نقاسي شيئاً بأزاء تلك
المقطعة الاخرى التي اودعت سرها في ذلك الهيكل الجاثم الى
جوار تلك القبة كأنه قزم صاغر امام هلال جبار ، لكنها ضخامة
ان تقني شيئاً في تعويم الروح ، احدهما ، وهو تابلون ، قد يبر
الدنيا بجذائف ، زيف الوان تلك القبة ، اما الآخر فسيبر
دون ان يظهر ، لانه ينبع من الاماكن الاولى ، ويصدر عن السر
الاول ، سر الحاقن . يد الاول قد ضففت على بقع من القرب
فلم تستطع الا ان تعدل خطوطاً وتجر حدوداً صناعة ، اما يد
الآخر ، رودان ، فقد امسكت بقطعة من الطين فثقت فيها من
روحها فاستعالت كتلة عامرة بالحياة : فقصارى امر الاول انه
طفل كبير اخذ الكوة الارضية بين يديه ورسم عليها رسوماً
كرسوم الاطفال ، لا تتجاوز خطوطاً صابئة لم تقدها الطبيعة ،
بينما الآخر كان فناناً صناعاً صور الطين وفقاً لناموس الحياة وهمل
بتصميم السر الاكبر للخلق . لهذا كان عمل الاول مصيره الى القناع ،
هو واضرا به من منشيى الاباطوريات ، مهما يطل اجلها ، اما عمل
رودان واصحابه من اهل الفن فصيره الى الخلود ، لانه قسمة من
الحياة ، والحياة دائماً في حياة .

انصرف اذن من الانقياد بجده الزائغوما فيه من مفاوض
تنشأ لاولئك الذين عثوا بالحدود بين الامم فظنوا انهم ابدعوا
شيئاً ، وزادني سخطاً عليه في ذلك اليوم ان كان فيه احتفال بمجاعة
واحد من اولئك ، فبروت مسرعاً الى ناحية الجنوب حيث شارع
فانر تقيم بزاوية كمة الفن الرفيع .

هذه الكعبة هي قصر بيجون Hotel Biron الذي

شيد المعماران جبريل واوبير Gabriel et Aubert ، ويقوم في
حديقة غناء ، واسعة الارضاء ، وعند مدخله من بين الداخل كنيسة
الحقت بالقصر لما ان اقام به « اخوات قلب يسوع القدس » ، ثم
اضطرون الى تركه في سنة ١٩٠٤ فاستحال الى قصر عام يمكن
من شاء ان يسكن فيه ، بعد ان قضت قوانين الفصل بين الكنيسة
والدولة ان يقوم على ادارته مدير قضائي .

من ذا الذي دلّ رودان على هذا القصر الرائع ، انه حديقته
الطاهر ولكنه Rilke . ذلك ان زوج ولكنه ، كلارا ، كانت
قد استأجرت شقة من هذا القصر ، ثم سافرت الى اقليم هانوفر
وشغلت الشقة بزوجها الذي وجد في القصر غاية ما يرجوه ، فاقام به
منذ اوانتهى من كتاب (انطسطن) في الشقة الفنية المركزية في
الطابق الثاني ، ثم استأجر لنفسه غرفة دائرية في الطابق الاول .
اعجب ولكنه بالقصر ، وسرعان ما اعلن اعجابه هذا الى حديقته
رودان Rodin فكتب اليه في ٣١ - ٨ سنة ١٩٠٨ بقول :
« عليك ، ايها الصديق العزيز ، ان ترى هذا البناء الجليل والقاعة
التي تصطبها منذ هذا الصباح . ان كواها الثلاث تطل بروعة على
بستان مهمل ، فيه يرى الموهب بين الحين والحين الارانب الساذجة
تتوابع من خلال الاسوار التضاريسية وكأنها في سجادة عتيقة » . اما
ولكنه فقد اقبل على عمله بنشاط ، مكباً على الطاولة من الزمان
التي اعداها له رودان ، فكانت « بشاية سهل واسع خصب
سأرتب عليه مجلوطة في كأنها القرى المتناثرة في بساط هذا السهل .

وكان من بين هذه المجلوطة المديدة التي بدأها ثم غلغل عنها
حيناً طويلاً ، بخطوطه رائحة الكبري ، « صحائف ما لي لوردز
برج » ، التي يسقي فيها قصة شاعر شاب دانيمركي يسجل ، على هيئة
يوميات ، همومه ويأسه ورجاءه وما يمتلج في صدره من احساس
ومشاعر وهو في غرفته باحد فنادق الحلي اللاتيني في باريس ، فتتأري
صور مضطربة هذه المدينة الممرمة التي تشيع في اركانها رائحة الموت

الألوان . ثم صرت الى حرم ذلك المرسوم فاستقبلنا بياض كلاب تبدو فيها الضلالة . ثم دخلنا قاعة المرسوم الزاهي حيث استقباني بمشال المفكر يدعوني الى التأمل والحشود ، فأنادى داخل حرم القن المقدس . هنا في هذا الحرم سأستلم رودان وهو يعمل ، سأرى كيف كان يرسم مجللاً بـ *esquisses* ثم ينقلها الى الطين ، هذا الحما المصور ، فتستحيل كائنات مية صغيرة من الجبس الناعم هي الاجنة الناعمة الحارجة من رحم هذه اليد الصانع . هنا تفرشك هذه المشولات والنافع ، ما انصرفت من اسرار فنية . فتكاد تحس في هذا المرسوم بأنك تغلق الفنان بفضولك الزائف ، شأنك شأن من يقف عند كنف الفنان وهو يكتب او يرسم ، او يترصد من زاوية كيف سيدخل للبداع انكاه . لهذا استولى علي ، وانما في داخل المرسوم ، شعور انتهاك الحرمة والفضول الملتصم بالتجسس ، مع كنت استشم وعز الحطيشة في اعماق نفسي ، فلم استطع المكث طويلاً وعلت ادراجي الى باريس ، التمس الكفارة على مذبح الميكمل ، الميكمل التي يدمى متحف رودان في ناحية شارع فاردن .

هنا الفنان قدم اليك آثاره في صورتها النهائية ، فلا انتهاك لسر ولا شعور بمدنذ بوخر خطيته . ادخل من بين حيث الكنيسة القديمة تزيين طائفة من الناذج ايجابية والاصول الاولية لبعض آثاره . هنا ستجد حصراً المتفرد لتتمثل ايمان كاليه الذي صنعه رودان ارضاً لرغبة مدينة كاليه حيناً اودت في سنة ١٨٨٤ ان تحفر ذكرى اوستاش دى سان بيير *Eustache de Saint-Pierre* الذي كان مثال الشجاعة والوطنية والتضيق الحياتي ، فوكلت الى رودان امر هذا التمثال . فأقبل على العمل تحمده الرغبة في ان يصنع قتالاً ضيقاً يتحدى به القدرة المبرزة والصنعة مآ . وكان قد قرأ في اخبار القرن الرابع عشر مغامرة ستغن ايمان مدينة كاليه شاوا ان يقدموا حياتهم ملك المتجلفة فداء لمدينتهم المحاصرة من اللهب والدمار . فرأى يصورته ان هؤلاء المستقيكون مجموعة لا تنضم عراها ، فن الظلم ان يفرد لاحدها وحده مكانة خاصة فتمتعت له وحده التمثال ، وليتكلف التمثال من الجهور والوقت والمال ما يتكلف ، فبذل العمل يقتضي نبل البذل ، ومن اجل هذا درس الاجسام العارية وفقاً لاذاج حية ، ثم كسا هذه الاجسام بالقميص الخاص بالحكوم عليهم بالاعدام . وتلك كانت طريقة رودان : ان يبدأ بالعاري ، ثم يمسكه ، ثم وضع الاجسام الستة على مستو واحد ، على نظام من السير ، وهم في الطريق الى متحفهم ولم يشأ رودان ان يصنع هذه المجموعة على قاعدة ، بل رغب ان تكون في مستوى الارض ، وفي قلب المدينة ، حتى يختلطوا

كأنه شمع دائم التجوال في طرقاتها ومن خلال غرفها وشرفاتها والتي احلم ، المنصور بأشباح دنياه الشلية البامرة بأرواح الأساجا ومرس فونتان ، يتجلى فرماً من هذا العالم المتريب على نفسه الذي لقيه في باريس ، وتغلغل في نفسه المضطربة ذكريات اجساداه الانجذاب مع هذه الصور المبرمة التي تفتأ المدينة البالية ، ولعل الشعور بالخزع الكبرفي الذي تستشعر النفس القاطنة في المدينة السالسية المبرمة لم يوصف ببراعة مثل تلك التي تتجلى في يوميات هذا الشارد المثالي الذي انطلق من تلافيف التيوم الى الشمس الباهرة في مدينة النور فاستروح بواده الخزع الوحي الاصيل : وفي صورة هذا الفني وجد رينوار كالف نفسه التلقه التي سرعان ما نغرت من باريس لما ان رأها لأول مرة ، ماذا أقول ؟ بل استمر على نفوره منها طوال حياته القصيرة بالرغم من الجاذبية المائلة التي كانت لباريس في نفسه . وهذا هو سر باريس الغامض : فانك بقدر ما تفر منها تتجذب اليها . واني لاشد هذا من نفسي ، اي سلاى فأتت ترى في رسائلي اليك مسايفيض بالحق والجرح من تلك المدينة المليحة بالاسرار والتأهويل المضاربة في اعماق الاسطورة ، بالرغم من مظهرها السطحي الزائف الذي يبهو وحده جل الوافدين اليها . لهذا فانا اقبل عليها بقدر ما اشعر بالنفور منها .

ولم يكن رودان يرى هذا القصر حتى اصعب به فانتقل اليه في الثاني عشر من ايلول (سبتمبر) من العام نفسه (١٩٠٨) فاستطاع الشاعر والمثال ان يستأنف الحياة مآ ، بعد ان قضت فترة جفا . بينما ان ينفضا في ربيع سنة ١٩٠٦ . جفا . ما هو الا استجابة لتوة طارئة اصابته رأس رودان فتضرب على صديقه الذي اقام لديه فترة تبلغ خمسة اشهر او يزيد في مقامه بضاحية ميدون كاتياً له ينشئ بأمر مراسلاته ، ومن هذه اللحظة التي اقام فيها رودان بقصر برون ، كان يصيره ان يرتبط بهذا القصر الذي اصبح اليوم متحف رودان .

اجل ان مرممه الاصيل في ضاحية ميدون *Meudon* لا يزال له كل جلاله ، وهو يرف من فوق الزاوية الشاهقة في غابات ميدون الزائفة كأنه قصر من البلور مجدداته الزجاجية المنسورة في فيض من النور ، لهذا وجدت نفسي في غيغ حل من زيارة هذا المرسوم حتى تكتسل في نفسي الصورة عن هذا المبدع الاكبر ، فارتحلت ذات يوم اشتد قنطله الى تلك الضاحية برفقة صديقين كان احدهما المزارع كله . وسلكت طريقي اليه بين بيوت ريفية انيقة صنعية تسلكها اغصان الجمنية والورد ، وحرمت بسائيتها بالازهار الزاهية الحارقة

بأهلها ، وكأهم منها . أليسوا قد كدها ، وبضعة من لحم الحار
الحى ؟ ! وكان ذلك بدعة هائلة سرحان ما صرخ في وجهها القناد
التقليديون ، فظلبوا منه أن يمدل مشروعه ، فأصر عليه ، وأصر
كذلك على أن يأخذ قتاله صورة تكسية ، لا هرمة ، فإن الصورة
الهرمية « هي » كما قال رودان في كتابه الى عدة كاليه ، صورة
مضى عليها الزمان في نحت التقليديين . أما المكعب فيعطي تعبيراً
ببنا الظروف هي التكنة الرخصية التي يلجأ اليها التلاميذ المتقدمون
لمسابقة جائزة روما . . . وانا ألخص اللدود هذا الفن المسرحي »

في هذه المجموعة تبذل التبعيات المروسة على وجه هؤلاء
الاعيان المستوفى حركات قاتمهم وأيديهم . فيهم عزم على الموت في
أذعان مسيهر بجسدي العاقبة وجلالة التضحية ، وفي شدة ارهم
من بين تصمم وقوة ارادة يوازى على أحداث أثرها قبضتا يديه
وفي قبضات أوستاش سموا جنيع من صدق الايمان العميق ، كالتأثر
الغوي بادلى وجوه الجميع ، لكن ليس فيه صراخ : ومشكلة
اللاكون Leocoon المشهورة تجدهنا حللاً رائياً فيه مزيج من
الآلم الجارح والمحدود . المذم . حقاً لن نجد في هذه المجموعة ذلك
السحر الخالد الذي تراه في النحت المصري ، وكما يقتضيه القناد
عامة في النحت بوصفه الفن السكوني ، لكن يجب مع ذلك أن
يقال أن رودان لم يسي . استخدام الوامان لمطامحة شكل ظاهر
أو مستقيم ، والطابع الحركي الديناميكي الذي يشل بكل
قوة في كل ما أخوجته يد هذا الفنان التاريخي لا يحلأني كبر

الروح الاصلية او الظاهرة الاولى لفن النحت ، فلا يسرف احد
في الانحأ . على رودان باللائمة في هذا الباب ، وان كان الفن المعاصر
يحاول كثيراً أن ينأى جانباً عن التأثر برودان . والطابع الباروكي
كذلك ليس ظاهراً في هذه المجموعة التي كان يجشى عليها تماماً أن
تتحدد الى الباروكية . ميكيلانجيو Michelangelo في نحت موسى ، وان كان
نحت مشابة لا تشكر بين فن رودان هنا وبين فن ذلك النحات الايطالي
الأكبر . لم في هذه المجموعة كذلك وحدة واحدة حقيقية باطنة لا ظاهرة
تتبع من وحدة الفكرة التي سم لتخليها اولئك الاعيان الستة ، بل هي
وحدة ناشئة كما يقول رودان من البساطة او البساطة في الفن منها الانسجام .
فالبساطة تحدد العناصر الجوهرية ، لكن ليس منها الفخر ، بل بالعكس ،
فان البساطة لا يأت إلا بدقة اللامع ، فالبساطة إذن نتج من الحيلة . وقد
فكر رودان - بعد أن تم وضع النحت - في زيادة هذه الوحدة في
المجموعة وتوحيدها وذلك بأن يضع نحتال كل في غلاة ، لا أن يجعله
يرتدي قبعة . « فالتخللة » أجل ، وفيها زيادة في توحيد المستويات
فيزداد مجموعها تماسكاً . ولكي لم التماس . وبودنا ان نرى مثلاً
بمثال البرم ان يمتد امنية رودان هذه لثرى ما حسى ان يكون اثر
هذا التجديد الخائق .

رودان لما وزن في كل صورة من هذه الصور التجسيمية البست الى
من خالد يشقه المرء تقيلاً بعد ان يستكشف للمسح الرمزي الواحد
للمجموعة كلها . والتبعيات التأثيرية البادية على الوجه ليست طارئة
بل فيها الخلود الذي يقتضيه دائماً فن النحت شرطاً لسياسياً لوجوده .
فرودان « كما قال عنه ولكنه » كان حياً « يبيع صورة فكانه ينشد
في الوجه القصوى » الخلود ، تلك القصة من لفسلرد التي بها يشارك
هذا الوجه في التيار العظيم للأشياء الخالدة . وهو لهذا كان يسي الى
تصوير الأشخاص من باطن ، أي أن يستمر في نفسه بترتهم الروحية
الصغيرة ، يتمخض في الطين من روح تلك التجربة ، فيستحيل الخشال
عابر بالحياة « الحياة التي يرى تيارها الخالد ابداً » ولهذا المعنى
يجب ان فهم كل ما ضل رودان في باب قليل الأشخاص portraits
هذا القسم من النحت الذي قد يوهم المرء انه يخرج على الظاهر الاولى
لهذا الفن « يرسمه العابر » أي الشخص الغائي ، وطما الوهم ان صدق
بالنسبة الى النحاتين من الطراز الثاني والثالث ، فلا يصدق بالنسبة الى
رودان واضرايه من فخاني الطراز الاول . فهو في نحتال فكتور هيجو قد
شا . ان يصور بالتجسيم فيض البقرية الشربة حياً تصبح صوفاً من البلور
الرنان « وفي نحتال براك - لفتت الى جواردي في شارع درساكي قبيل
الفتاة بشارم موتارناس - نرى صورة الفصاح الخائق لولام انسانية
كلها تفيض بالحياة الضخمة ، ولوانه لم يتم هذا النحت الاخير ، الذي فيه
حلال كذلك ان يتجه الى النحت ذى الجهر الواحد ، فجاء قطعة
مجاهدة من النحس الملد ، كما كانت عبقرية براك صغيرة صاعدة قد مدت
كل اعياء . وهو ايضا في التماثيل العديدة التي صنعها صوراً لأشخاص - مثل
الرام بولي دي شان او مرس سيسون او برغرد شو او كليمو - قد
تأثرت الى حد كبير بالمرم او البرتر المسمى الاصل الذي يشك كل .
ويجب ان نرى ان رودان كان له في رودان تأثير غريب لهذا الامر
اشد ما يمتد في نحتال حياً ترد الجسم الرئيسي من النحت وهو القائم
في النحس نفسه فتتوالى امدات مواكب من لمراد الجند والشهوة اطلق
فيها رودان لغدته فنتج كل مجراما . ما هو نحتال « الصم الخالد » (سنة
١٨٨٩) ، يصور لك امرأة واقفة ورجلاً ركباً جانباً على ركبتيه
يمل بنف مركز الانعاش الجسدي في المرأة ، أي نحتاً « هنا عرامة
الشهوة في الرجل تنارض واستسلام المرأة الرخي في شعور بالاذلال لهذا
العابد انهم » حتى انك ترى الحياة للمرأة برغم ما يبدو جل وفيها من
استسلام زائف . والاستعداد لهذا التران « وفي نحتال بدنه تنير هائل
من قوة الشهوة المتضجرة في خلايا بدنه الصليب . وانشاء من هذه الاحساس
تمرد حياً ترى « بلط وبسبيته (سنة ١٨٨٩) و « البلة » (سنة
١٨٨٩) ، و « الربيع الخالد » (سنة ١٨٨٨) ، وما اليها .

ويشود لفت الى ما نحتت شيئاً في الناطقة الى كنت فيها بقتالفة هذه
التماثيل الاخيرة الا ان تكون الى جواردي يالسوى « تتدفق من جيول
هذه الآثار الرائعة » التي لا يدرها حتى قدعها الا من كانت « هنا عارفة
بالاحساس والمواليف القلبية التي تجمع اشياها بين كينا : اقول تتدفق هذه
الاشية الجميلة لاخيرة لذي فوق كل الاماني ، امنية ان نعتيها هنا ،
ونكت طويلاً حاليين امام هذه الروائع الحية التي خلقها ذلك الخالق
الأكبر ، ارجيت رودان .

عبد الرحمن بديري

باريس

اجلث الطرف في هذا المسمى الجغرافي المعروف بالشرق ، رأيت ان كل ما فيه في كلا شطريه : الاذني والوسط يدور بالحاج الى التنظيم على اساس مكتبة من العلم والفنية في غمرة من الامل والرجاء والاخلاص . فمقتضيات الوجود وموجبات الحياة والسلم مع ركب الزمن والكفاح في سبيل البناء المركز والمعيش الافضل ، كل هذا يتطلب ، لدى الفرد والجماعة ، هذا التنظيم الذي لا يستقيم بدونه لشعوب هذا الشرق واهمه واقوامه مقاومت البقاء والتصميم الأكل والتوجيه الامثل والفعاية في العمل . كل هذه الشروط الاساسية للوجود تتقاضى حتما ، بناء الامم ، للتسكين في اسس البناء الدولي الذي يشيدون والتركز الوثقي له بمسائلهم ووجوده النشاط الذي تنفتح عنه الحياة في كل من الفرد والجماعة . وهذا التنظيم يجب ان يقوم على قواعد اصيلة من العلم والفنية تسير الزمن وترتقي سنة التطور . فلكل مصر ومصر مقتضيات

من العيش تختلف باختلاف ظروف الدهر وظروفه . فان لم يراع البنائون هذه المقتضيات في ما ينشئون من دول وحكومات ويضمونها من خطط واهداف ويوجهون فيها من حركة مبدعة خلاقة عامرة بالايان الحار والرجاء الاخضر فسيبا ما يسون اليه وباعلاما يأتون من حركات وسكنات .

هذه بعض الشروط المقدمة

للاصل الانشائي الذي يرمي الى تنشئة الامم وتمكين وسائل العيش لها وتوفير حيل الحياة امام الاجيال العديدة والاجيال الطامعة او التي تطلم . كل ما عدا ذلك سراب لطم ، وآل غرار خداع !

وان لم تستقم هذه المقومات للبنساء المنشئين ، ولم تتوفر في الزعامة والقيادة هذه الاركان في ما يجارونه من انشاء وخلق وبرا ، جاء المولد طرحا سقيلا لا يصلح للحياة ، وهل الجئين كسيحا ميخا لا يستقيم له العيش بها ففتنوا في نسج الاقراط بها غالوا في اعداد جو الخاض واصلوا من مكيفات الخيط ، حتى اذا ما تناقل الجو ونفخت فيه ريح صرصر محوم ، ضاقت مناسف العيش واحرخت مزارده فأت فطيسا خفيفا .

تلك هي سنة العيش في الحلي من الافراد والجماعات والشعوب والامم . فان اغفل البنائون او تناقلوا نهبا او عدا مراعاة شرائطها ، كانوا من حيث يدرون ، ضالين مضلين ، ومهين مرهين

تضرعوا ، اذا ما حصص الحق وارفع الزبد ، لعنة الاجيال وستط النارخ وهزته ، معها علت او تاملت نعمة الايات المزمرة .

قدما هذا الكلام جملة ، ونحن زنو الى الاحداث الاخيرة التي المت بالشرق العربي فنهته ، وحملته من الكهارب الذرية شحنة لا يعرف غير علام القيوب ، كما عسى ان تنتهي اليه طائفتها من صيرة في ذات كيانها وذات حياتها ، وقوابله واماراته ، كل هذا ونحن ابعد ما نكون ، مسلكتا وعملا ومنصرفا ، عن السياسة وما استقر من مقومها في الازدهار لدى ربايتها او العامة من الناس .

دعانا الى هذا التفريع من الرأي والتفكير له بهذه الاجاليات او العموميات في شروط التأسيس والتركز في خلق الامم وابداع الشعوب والحكومات ووجوب افراغها في قوابل وأطر ينتقلها سلك من التنشيط والايان تقسم معه للحياة وللمقتضيات تطورها ، نعم دعانا الى هذا كله ، ما زاه من تضعضع في البناء الفكري

والثقافي في هذا الشرق العربي ، هذا البناء الذي يجب ان يكون واسطة القدر والاس الوطيد لكل ما يقوم في دولنا وشعوبنا وحكوماتنا من نظم سياسية واجتماعية واقتصادية وعمرانية تنكشف عنها وجوه الحياة في مبسطها وتفتحها الشامل . فان احسنت تنشئتنا الثقافية والفكرية استقامت بالتالي ، نتيجة لذلك ،

اسس بناثنا الدولي والحكومي واستقام خيطها المشدود وانتظم غرارها على اصول تضمن الحياة وتصدد لادهر ، معها قسا وجهه ونجمت اقداره وكورت علينا نوابه ، والا انهار البناء . وتساقط سقوط العرش المشاد على الرمل الزلق الرحيل .

يشهد الله ، وهو خير الشهود ، ان للتنظيم الثقافي ، في الشرق العربي ، كان ولا يزال ولن يزال ، مستقر النفس ، تلج به ليل نهار ، تمر به خاطراتنا وهو اجستا ، ويلج مثابه القباب والاسان ويوجه نشاطنا وعلمنا في كل ما نقرأ او نكتب او ننشر .

وان كان من حاجة بعد هذا ، لدليل على ما نقول فاننا نحيل القارى ، بكل تواضع الى ما نشرته لنا جملة « الاديب » الثراء من الجملات في سنواتها الثلاث الاخيرة . فكلمها . تعالج هذه الناحية ، وتلفت نظر المسؤولين هنا وهناك ، بوجوب العناية بهذه الناحية من عملنا الانشائي القومي . وما مؤلفنا : « الشرق في الادب الفرنسي



بعد الحرب ، وما كتبنا « فهارس المكتبة العربية في الحافقين » وكتابنا الثالث : « دليل الأعاصير الى علم الكتب وفن المكتاب » الا جزء من كل مما اعددنا في سبيل تنظيم ثقافتنا العربية ، بوضنا « معجم مصادر الثقافة العربية » الذي يضم اكثر من نصف مليون من المراجع والمصادر .

تبث لنا هذه الافكار التي وضناها تحت انظار القاري الكريم ، بصورة اهاجت فينا الاشجان والاحزان ، عندما كنا نطالع ، بلضع ايام حلت ، في احدى الثورات العلمية التي تصدع من منظمة الانسكو بعنوان « بريد الانسكو » مقالاً يدور حول مدى ما بلته التنظيم العلمي والثقافي في الغرب . وقد ذكر الكاتب في معرض بحثه القيم ، ان ما ينشر سنوياً في مجلات الغرب العلمية والفنية ، يبلغ نحو ٧٠٠٠٠٠ مقال في مختلف وجوه العلم والادب والفن وهي لمعري ثروة ماثمة تلعب بها فيها من عناصر الخلق والابداع والانشاء ، قرائع الاديب والفنان والمعلم والصانع ، تختلج وجوه هذا اللقاح ، علمياً ، في شذذ الآلة للمكرمة والمبدعة ، وفي ادهاش ادوات الموت والحياة التي يمسك اليها الغرب في عقاله .

ويشكو الباحث في مقاله هذه ، مشملاً مستشراً ، كيف ان نصف هذا المدد من تكلم المقالات فقط يصل الى جوه المتقنين ، من طريق اليجاز والتلخيص والتعريف والتبسيط والعقد ، ويأسف كثيراً ، ان يظل القسم الثاني من هذا المدد التكري ، يتجهوا على اصحاب الاختصاص وحدهم فلا تمتدى فائدته هذا الفريق من الناس ، وقد يمدون بالالوف . ويسأل بمجراة ، بعد هذا ، عما عسى ان تكون امثل السبل لتبسيط هذه القوة الفكرية واشتبا بين الملا الاكبر من الجامعات التحفة .

هذا بعض ما يجري في الغرب الفكر . وتجب بعد هذا ، يا اخي العربي ، ألا شأت ام ائيت ، أعرفت ام اصرت ، من سطوة الغرب وسيطرته وتعاله !

والي اسأل بدوري ، اياً كان من المنظمات والمؤسسات الثقافية في الشرق العربي ، رعية كانت ام عرقية ، ما الذي يصلنا ، من هذه الحصيله الفكرية التي اشترى اليها ؟ واذا ما وصلنا منها شيء ، فاي مؤسسة رعية تتولى التعريف به الى جامعة المتقنين في هذا الشرق ، وما هي الترائم التي تشدها في ذلك والوجوه التي تأخذها الاصول الى التعريف بهذا الخزون العلمي ؟ فاهو المهد او المنظمة او الهيئة او النشرة التي تتولى . في لبنان ، او في مصر ، او في الشام ، او في العراق ، او في جامعة الدول العربية ، التعريف بهذا الفيض

العلمي الذي تطلع انواره الكواشف على الغرب فتلقه يا رأينا وصحنا من مدهشات الاكتشافات والاختراعات والابتكارات ؟ وليس من يتكون ان بين هذه القوة الطالمة سنوياً ، ما يتصل بنا امره او يبعث مشاكنا ومصائنا ومقدراتنا ، او بما يث الى اسباب الموت والحياة فيها . هناك يدرسونا ونحن هنا قايمون قانوناً بالتثني باجداد الآباء والجدود وما آتي السلف الكريم !

والي والغرب في هذا المضار . فان لنحس به وغطيطنا المتضاعد يدغدغ منه القلب والحاطر ، فبفتها لك ، فمكره ليزيدونا اغفاءة وهجمة فينصرفوا الى تحقيق اطماع دوليتي في هذه « الفئنة » من الشرق حيث تبدو النواطيح ساهية لاهية ، ترتد فيه الريح بعد ان اشرقت بها جنباتها . اني اتحدى اية مؤسسة او مصلحة ثقافية ، رعية او عرقية ، في الشرق العربي ، ان تطيانا ، او بصورة تقريبية ، فكرة صليحة عن مبلغ النشاط الفكري والثقافي ، مثلاً في دور النشر وعجلاته العلمية ودورياته الادبية والفنية ، على قتلنا ! * فيا لضيعة هذه القوة الادبية والعلمية والفكرية ، على تدرتها ، وبالحسرة هذا المجهود الطائع الذي يقوم به الكتاباء والمؤلف والمثني . لتبسيط العلم وتبسيطه ، اذا كان يجب ان يظل تناوله مقصوراً على بضعة عشرات او مئات من القراء . او المشتركين القابعين !

ويخفى انفساً حراً ان ليس في الاق ما يشي من قرب او بعد الى ان هذه الحالة المزرية سيصار الى تلافيها بوجه من الوجوه ، كما ذكرنا ونشرنا ، في مثل هذه الحالة من الورز والتنظيم ، على اساس من العلم والفنية ، في مختلف موقاماته ومكرواته !

ولذا جئنا بهذه الكلمة ، وقد اردناها صرخة داوية ، نطلقها في آذان منظماتنا الثقافية ، وبين اعضاء اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية وفي كل من الوزارات المسؤولة ، لتتلافي الامر وتدارك النقص في جهازنا الثقافي وتغنيه على أسس يصلح معها ان يكون اساساً في استكمال اجهزتنا السياسية .

واتنا ندعو من يدهم امر البناء الثقافي ، الى انشاء معهد رسمي او منظمة يتاط بها تنسيق النتاج الثقافي ووسائل التعريف به على كيفية تتمكن منها الجماهير من استساغته ليعود علينا بالبتكر من الجديد يكون غير اداة لالة يدفع الضم عنها ويدها للحاجة . وستتولى في مقال آت ، بيان الاسس التي يجب ان يقوم عليها هذا المعهد الذي ندعو بمجراة الى انشائه .

يوسف اسعد داغر

* لا تذهب بعيداً بما الفاري . فوزارة المعارف اللبنانية لم تسمح بعد بجلة الادياب .

أقفط المناقيد في دارتنا الضيقة؟

من يخني، لي حبة الزبيب الطيبة في عيه،
والنفاحة الملوثة الطرقة في كفه، الاسل في
جفنه، العمر في فمه، الرضا في مفارق
جيبته والربيع في اصابع كفه، والضوء في
طيات رداءه، والقبل في جيبه، ... في
صوته، ... في خطوته، ... والسما في صدره
في سما، صدره، والله، وداء البيت في الظل
تحت قبة الجرس عند حنية الكنيسة .

وأمامه، أصبحت في الطريق غريباً كقده
الطيور الغريبة التي تضرب مناقيقها
واجتمعنا على قضبان الحديد حتى تدمى
تسكسكس على نواقي الضباب

لثمند لورشليم القديمة، في نفسي عطفة
سقطت قبة الميكل الأرقاء، ودبت
قدسية الحياة، من اغوار الاضالع الى اغوار
المقابر في وحشة الارض اليابسة، وتقدس
مندي في الدماء كوثر القرب، ... في جباهه
جبات، ذلك، في عروقه خيوط عروقه، ...
لمس حنيت جبهتي حتى الارض،
امرغاني في الحصى والزوال، ... ساسير حتى
الموت، وظهري لوجه النجوم السادرة .

امام !

أني اقرأ، وقصد غلضت في كتابي
معاني الحروف ...

اعطني، اختاه، هذا الابريق الفاذوخ
اضرب به وجه الايمان ...

لتسقط اورشليم الناس القديمة، مدينة
الاشباح والارواح، والآله .

في الزاوية الضيقة تحت السندياتة،
في مقعد القرية عند بيتنا ارتفعت في رنين

الموت والاجراس جدران الهيكل الجديد .
استقي، اختاه، اكاد اموت في باب

الهيكل من الشوق والعلش .

الباس غلبل زهربا

المباخو وتراتيل النعاة،

... واما تصاوة المول الذي تحرك
والحمار الذي نشط والحجر الذي لان،
والكاهن، هذا الكاهن المسرع الذي
راح يويجز الكتاب وكأنه مع الموت على
موعد آخر في بيت آخر ...

والنساء وآه لبعه الجرس المتناثب في
تحمي الايتال وتلفت القدر .

ويطملم الموت من شدي القهر الجاثم
... امامه ... امامه ...

واحاول ان اضم فلا اري بين الساعدين
المرتجفين غير الشح الحائم الاسود الذي كنت
تصيرين قه رأسه بالصبا الطويلة في ليالي



http://www.ayyub-sakhr.com

✱

كاثون الداجية. واشعر اول ما اشعر اني
أصبحت مقيماً في الارض، وان في تلك

الزاوية الساكنة البارزة بقراحي الجديد عينا
حدثت فيها ... في تلك الاصابع المسبلة،

... في تلك الحصائل البيضاء المسرعة بايدي
الغرباء، ... في ذلك القيصم النقي الذي

قططته اخوتي من ضلوع قصائنا الجديدة .
... فسلأت نفسي والنهار يلهث من

الثعب أربنا الذي مدّ رأسه في شق القهر ...
امام ! امام !

اية زيتونة تمسكب لنا الزيت
في قنديننا الساهر ؟ من اية كتف اشرب

الماء البارد في قورتنا اليابسة ؟ من اية دالية

وامام ! واما ! ان هي الشنة التي ملعتني

كيف اقبل في خيرة الشفاء خيرة الحبة
... والين التي ملعتني كيف اكلاً

حبة الين في حباب العيون
... والبطية المائلة التي كانت تقف

كل صباح على شرفة بيتنا كما يقف
... فم الغراب، جارنا، كل صباح،

في شرفة الشمس العالية
... والصوت العجيب الذي ملني في

المتاف رفعة النداء، وفي الهينة رمشة
المتافا، وفي الهينة رمة النمة ...

ورأس انسان كبير، على صدر امرأة
كبيرة، وفه الحائر على خدها الملهق،

وراحتها المشرعة تمسح في التأمل والحنو
عروق جبينه، وقدماء كعبنا حيه، مرتفتان

مع التدر في ديب الجوزاء

ان هو الصدر الذي ملني كيف ان
الطعام القاسية، في في الحبة، أين من في واجنة،

امام ! لم يترك في الموت في حديقة
البيت حديقة عين ...

ناديت الدالية المعوشة على سلم البيت
فلم تصفقي في مع الشوق، اوراقها الخضراء

وسألت الشبة البيضاء التي كنت تدلكنها
صباح، ساء، بالزيت، بالريحان، نهر القرب،

وسويداء القلب فلم تنفث هتافاً،
وسألت الجرة الحمراء، عن تلك الكتف

القوية التي كنت تتدلى عليها النيام من عين القرية
الباردة، فضمت الجرة الحمراء يلفح فيها

لفضان التربة وبكس الابريق في الزاوية
لقد انقطع عن فمه وفيها خيط الماء .

فانقطع عن فنا خيط الارتواء
واحلك ببني في لوحين من الحشب،

ثم امضيتك مع الناس الى زاوية المقهدة تحت
السندياتة، في قلب القرية عند الكنيسة الكبيرة

وانتج باعداني اليابسة باب القهر على هفات

مجاهرات زهدن في الدنيا لبسمدن في الآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

لباسيه في الفلسفة من جامعة فواد الاول

✱

وكانت معافة تحاول كل الوسائل التي تمنها من النوم حتى انها ما كانت تلبس الا الثياب الخفيفة ليحول الجهد بينها وبين النوم . وقصت خادمها حادثة عنها فقالت : ان معافة كانت تقضي الليل في الصلاة واذا غالبا النوم كانت تقوم فتبشي في الدار وتقول : « يا نفس » انوم امامك » اذا ما اطول نومك في النهار » وهكذا تبقي على هذه الحال الى الصبح . وقيل ان عدد الركعات التي كانت تصليها معافة ثل يوم وليل ست مائة ركعة وتقول : « احب من الجن التي تنام » عالة طول النوم في القبر . »

ولما تبي معافة عروبا بل تروجت وانجبت ولدا ذهب مع والده في حلة عسكرية . وفي يوم قال الاب لابنه : « يا بني ، اذهب وحارب لكي اسرم ملك » فرمى الولد بنفسه على الامعاء الكافرين وقاتل حتى قتل ثم تقدم الولد وفعل فعله . وحين نجحت النساء وذهبن الى الارملة الشكلى - معافة - ليعزيها قالت لمن : « اني ارحب بكن اذا كنتم قد اتقن لتبشني ولكن اذا اتقن قادمات لغاية اخرى فيسكنكن العودة من حيث جئت » (١) . ومن هنا نستخلص ان معافة كانت من نوع النساء الغريسات الايبات اللواتي قدمن اعز ما عندهن ، وهم فذة اكادهن ، فداء لوطن ودفاعا عن الدين والشرف .

ويذكر الشيرازي (٢) بان معافة - بعد موت زوجها - كانت تحاول ان تقيم نفسها تدريجياً فما كانت تضع رأسها على فراش الى يوم وفاتها .

وتمثل هذه المتصوفة الزاهدة في الدنيا والمتصرفه الى العبادة كل

« الهني ا اذا كنت اعبذك رهبة من النار فاحرقني بنار جهنم » واذا كنت اعبذك رغبة في الجنة فاحرقني او اما اذا كنت اعبذك من اجل محبتك فلا تحرقني يا الهني من جالك الازلي » . وهكذا نأجسد رغبة المدوية بها بهذا الحب السامي المحرر من الهوى وهو حب الله لذاته وهكذا صارت له الحيرة - اي رغبة - من شعور زميلاتها المتصوفات الاخريات اللواتي تبين الطريق نفسها المؤدية الى افناء حياتهن في العبادة والتقوى واصلاح النفس وكبح جماح الشهوات واكثرنا يعرف عن رغبة المدوية لذلك ان نتحدث عنها هنا بل نتركها الى غيرها من اللواتي اشتهرن مثلاً . فكان لها حبيبة تسمى معافة المدوية عاصرتها وكانت من بين رفيقاتها . وهي ابنة عبد الله المدوي وولدت « ام الصبا » وهي ابنة المتصوفات البصرة . ويقول جامي عنها بانها من كثرة التواضع ما دفعت رأسها ولا وجهها الى السماء . مدة اربعين سنة كاملة . ولم تأكل اي شيء في النهار كما انها لم تنم في الليل . فقال لها احد قاضها مرة : « لا تؤذني نفسك بفعلك هذا » فاجابتهن : « لا اذية تأتي فاني حاولت نوم الليل الى البار وطلعت النهار الى الليل » (٣) وذكروا الفرزالي عنها قائلاً : « كانت معافة المدوية اذا جاء النهار تقول : هذا يوم الذي اموت فيه فا تطعم حتى تبشي فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي اموت فيها فتصلي حتى تصبح . وقال ابو سليمان الداراني : بت ليلة عند رابعة فقامت الى محراب لها وقت انا الى ناحية من البيت فلم ترل قائلة الى السحر فقال كان السحر قلت : ما جزاء من قرأنا على قيام هذه الليلة قالت : جزاؤه ان تصوم له غداً » (٤) .

(١) في البهرست صفحة ٧١٨ من كتاب جامي : « نفحات الانس » بقلم من :

M. Smith : « Rab'ah, the mystic... » Cambridge 1928 p. 143.

(٢) الفرزالي : « احياء علوم الدين » مصر سنة ١٣٤٦ هـ . الجزء الرابع

صفحة ٣٥٦ .

(١) هذا من مذكر في ورقة ٧٤ من المخطوطة : « سير السالكات

المؤنسات للحجرات » مكتبة المطبعة : المكتبة الوطنية في باريس رقم ٧٥٣٨

(٢) الشيرازي : « الطبقات الكبرى » صفحة ٨٦

الاتصاف ، فكل مدرسة الحسن البصري أحسن قليل وخاصة
فيا يتعلق بالزهد أكثر منه بالتصوف ولاعتقادها بأن إمامة الجسد
في هذا العالم يقدم أكثر قريان وأوفى الآمال في الخلاص بالحياة
الثانية . وشبه إيمانها هذا إيمان الحسن البصري قداماً - ذلك الإيمان
الحزين الذي يعيش صاحبه دائماً تحت وطأة شع الحزن من نزول
النضب الأكبر على البلاد - هذا رغم قرابته بأبيه ومقرنتها
الطريق التي كانت تسلكها هذه الأخيرة سبباً وراء القرب من
الحقائق الأعظم بواسطة الحب والتفاني في خدمة المحبوب .

وكانت أم حرام أول متصوفة في الإسلام ولا يزال قهرها
قرب لارتكازها في قهرس . وكانت لها شخصية قوية أهم بها أكثر
مؤدعي مصرها من الرب الأرائل . وهي بنت لمعان الانصارية
ومن اقرباء النبي . اأ زوجها فكان عبادة بن الصامت وهناك
اختلاف في اسمها ، ويقول البعض أن اسمها الحقيقي غير معروف .
ولها ترجمة ثالثة في مخطوطة تركية يعود تاريخها إلى ما يقارب سنة
١٨٠٠ م . وهي تشرح إبراهيم بن مصطفى الذي جمع معلوماته
من المصادر الأولية القريبة من مهدها .

أما صفات هذه السيدة الكريمة فيكتبها فقراً أن يكون
الذي يحدد قدر من قلبها النبيل فقال الحشمت من الأوائيل
- ملحقاً هنا إلى سفرها قهرس في الحرب القديسة زوجها هناك
حيث أعطيت لقب « الشديدة » وهو ابن ثمانين سنة من الإنسان بعد
موته . وذكر صاحب كتاب « النجوم الزاهرة » . فقال : « كان
الذي صلى الله عليه وسلم ينشأها (أي أم حرام) ويقبل عندها
وشرها بالشهادة^(١) . كما أنه يذكر من هذه السيدة أنها « ظهير
من مظاهر الجباب والقديسة ومصدر دائم أو نبع متدفق للبراعة
والطهر في الحياة » .

وقد رأيت أم حرام النبي في نومها وكانت بين أفراد الجيش
الأول الغازي قهرس كما ذكر البلاذري فقال : « قرأ معاوية بن
أبي سفيان في البحر فزوة قهرس الأولى ولم يركب المسلمون بحر
الروم قبلها وكان معاوية استأذن عمر في غزو البحر فلم يأذن له ،
فلما ولي عثمان بن عفان كتب إليه يستأذنه في غزوة قهرس ويطلبه
قربها وسهولة الامر فيها فكتب إليه : أن قد شهدت ما ردد عليك
عمر رحمه الله حين استأذنته في غزو البحر . فلما دخلت سنة ٢٧
كتب إليه يهون عليه ركوب البحر إلى قهرس فكتب إليه عثمان :

(١) تباري بردى : « النجوم الزاهرة في اخبار مصر والهاجرة » مصر
سنة ١٢٩٩ الجزء الأول صفحة ٨٦ - ٨٥ .

هذان ركبتي البحر وملك امرأتك فاركبه مأذوناً لك والا فلا .
فركب البحر من هناك ومعه مراكب كثيرة وحمل امرأته فاخته
بنت قرظلة بن جند عمرو بن نوفل بن عبد مناف بن قصي وحمل
عبادة بن الصامت امرأته أم حرام بنت لمعان الانصارية وذلك
في سنة ٢٨ بعد الحجاز النبوة^(١) . وذكر محمد بن سعد عن
الواقدي عن عبد السلام بن موسى عن أبيه قال : « لما فزيت قهرس
الغزوة الأولى ركب أم حرام بنت لمعان مع زوجها عبادة بن
الصامت فلما انتهوا إلى قهرس خرجت من المركب وقدمت إليها
دابة لتركبها ففترت بها فقتلتها فقهرها بقهرس يدعى قهر المرأة
الصالحة^(٢) . وقد شيد هذا القبر في نفس المكان الذي وقعت فيه .
وكسكل القديسات ينسب البعض إلى أم حرام كما ينسبون إلى غيرها
اعمالاً خارقة عجيبة منها الرواية التالية وستوردها هنا على عجلها :
تقول هذه الرواية أنه بينما كانت أم حرام في طريقها من القدس إلى
الرملة - وهي ذاهبة إلى قهرس - نزلت ضيفة في بيت أحد الرهبان
المسيحيين فأرأت عنده ثلاثة أحيار كبار كانوا أعمدة ضخمة ،
أحدهما وكبي قطير قديسيتها ومترللتها طلبت من الراهب أن
يبينها الأحيار ولكنه كان مقتنعاً بأنه يستحيل تقابلها وعلى كل حال
قدمها إليها كريمة وحليتها منه أن يحفظها عنده لحين الطلب .
وقد ذهبت الرواية إلى القول بأنه يوم وفاتها تحركت الحسادة من
نفسها وأمنت ساجدة على وجه البحر إلى أن أتت إلى ذلك المكان
حيث وقعت ودلفت ، ويقال إن هذه الحسادة انتصبت من نفسها
فقامت واحدة عند قدمها وأخرى عند رأسها ثم تطلعت الثالثة في
الماء بقوة سمعية . ويقال أن حراس القبر إلى الآن يرون الزائرين
يفقدون زيارته وينزلون البعض النذور المدينة لما كما يلقون الحرق
عليه والتألم حسب الثبات ، ومهما يكن من امر الشك في هذه
الرواية وبدونها عن الحقيقة والواقع ، فإنها إن دلت على شيء ، تدل
على مكانة تلك المرأة عند الناس لدرجة أنهم نسبوا إليها كل شيء .
بعد عن الواقع والتصديق .

ومثل هذه المتصوفة عند غير قليل مشهورين يودعون وبنصرافهم
من الحياة للعبادة والاقتصار عليها عتدهات في الحياة ، قانصات
بالتقليل من بساطة العيش ، فأذرت أنفسهن لحقائق الحقائق والتقرب
منه للاعتماد به والحلول فيه واحسن مثل لهذا تلك التي تاجت ربه

(١) البلاذري : فتح البلدان ٥ صفحة ١٥٩ طبعة مصر سنة ١٩١٩ .
(٢) « » « » صفحة ١٥٩ - ١٦٠ طبعة مصر سنة
١٣١٩ .

صدرة

ان هذه البركة المادنة قد مات جوانبها حشاش صفوا
ركودها في صدري ، قذاعا في عيني ، نثانتها في انفي
خرساء كأثنا الدم ، تضيق وتلوو وكأنها مستقم
رني : أهذه حياة يجيها اديب !

رني : اعرف اني لست في الجنة

لا مال ولا جاه ولا صفا .

ولكنني ما اردت جنة دحانا وظلعة .

ما اردتها بركة يضيق بها مجذاتي

رني : اردتها شاذوفا يتغير من شاذين الجبل

ولا بأس اذا تعلمت قاري ونشرت اطرافه بديدا .

حسي لوعة من اغشابه يدهم الشاذوفا في غاب هذا البعير

اني عرفت المرأة ولم اعرف الحب

وعرفت الحب فلم اجد المرأة

رني : اريد . . اريد امرأة غامضة تخيف تدفني في جنون

الى صراع هذا الشاذوفا

تلك رني تلك التي صنعها مثلي ، في ساعة من ضمير !

أحمد عرويات

هذه الكلمات اذا جننا الليل تقول في دعائها : « يا واحدي !
تغمي بالليل التلاوة ، ثم تقطعي عنك بك في ضياء النهار . المي !
وددت ان النهار ليل حتى اتقم بقربك^(١) . » وقال سلام الاسود

(١) النيسابوري : « غلا للجانين » طبعة مصر سنة ١٩٢٦ صفحة
١٢٧ - ١٢٨ .

منها كذلك : طلعت عليها الشمس يوماً فأثنتها فقالت :

« ان كنت تعلم اني بك والده فاصرف سموم الشمس في سبدي »

قال فغمت السماء في الوقت .

وذكر سلام ايضاً قصائلاً : « صامت حيوة حتى اسودت ،

فموتبت في ذلك فوفعت طرفها الى السماء . وقالت : قد لاني

خلقك في خدمتك فومرتك وجلالك ! لا خدمتك حتى لا يلقى

لي مصب ولا قصب . ثم انشأت تقول :

يا ذا الذي وعد الرضا ليحيه انت الذي ما ان سواك اريد

وزارت رابعة المدوية يوماً حيوة فلما كان جوف الليل حمل النوم

على رابعة فقامت اليها حيوة فركبتها برجلها وهي تقول : « قومي

قد جاء عرس المهتدين . يا من زين فرائس الليل بنور التهجيد^(٢) . »

وذكر سلام ايضاً قصيدة فقالت : « صمت حيوة تقول : من

احب الله أنس ، ومن انس طرب . ومن طرب اشتاق . ومن

اشتاق وله كومن وله خدم . ومن خدم وصل . ومن وصل اتصل .

ومن اتصل مرف . ومن مرف قوب . ومن قوب لم يرقد .

وتكسوت عليه يورق الاخزان . وكانت تقسول : اللهم هي لي

سكون قلمي فقد الثقة بك مواجمل جيمع خواطري وثقة برضاك .

ولا تجبل خطلي الحرامان منك . يا مال الامين^(٣) .

وهكذا نرى ان الدور الذي لعبته النساء في الحياة الصوفية

الصوفية لا يقتل من الذي يحب الرجل وهذا برهان قاطع على ان امور

الرجال والامور لا تقتل كل النساء كما يتهم الرجل المرأة على الاجمال

وهذه الاشياء لا تذكر تعصياً جازماً اذ لا تتوقف الماطنة ، ربما

كان نوعها ، على الجنس بل على الفرد وها هو الامام التزالي ، حجة

الاسلام ، يذكر في كتابه « احياء علوم الدين » : « فليكن ان

كنت من المرابطين المواتين لنفسك ان تقاطع احوال الرجال

والنساء من المجتهدين لينمت نشاطك ويزيد حرصك ، وياك ان

تنظر الى اهل عصرك فانك ان تعلم اكثر من في الارض يضنوك

عن سبيل الله^(٤) . » وفي شعر هذا المكان قال : « . . فان حدثت

نفسك بان هؤلاء رجال اقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع احوال

النساء المجتهدين وقل لها يا نفس لا تستشكيني ان تكوني اقل من

امرأة . فأعس برجل يقصر عن امرأة في امر دينها ودينها^(٥) . »

انعام الصغير

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) التزالي : « احياء علوم الدين » مصر سنة ١٣٦٦ . الجزء الرابع

صفحة ٣٥٣ . (٣) التزالي : « احياء علوم الدين » مصر سنة ١٣٦٦

الجزء الرابع صفحة ٣٥٥ .

الدين

لوريمى يرفرلور ترجبا من الايطالية : مصطفى آل عبال
ليسانبه في الاداب

✱

وزحف السكون فوق تلك البراري وامتدت الظلال الى
ما لا نهاية له وهب النسيم البليل يتؤدة فسارتاحت اليه النفوس
وتراحت الاعضاء. فشرى . اما دون لولا فسا كان يزداد الا
غضباً على غضب وتلويحاً بالدين كأن مأساً من الجبل اعتراه فجأة .
- يا دون لولا دون لولا . دون لا . . كان صدى ذلك
الصوت تردده الصخر والوديان .

ما كاد يصعد ويرى تلك الكارثة التي حلت بدومجتي جن
جنونه . ووجد اوتك الثلاثة المساكين وامسك بإحدهم من رقبته
وقد بدا عليه . . . بدبه ودفع به الى الجدار وصرح في
وجهه
- يا دون لولا دون لولا
- يا دون لولا دون لولا

ولما اسرع اليه رفيقا الفلاح وامسكا بتلابيده وقد بدت على
سحبها المتقاص - ذات اللون الترابي من كثرة ما لوحتها الشمس
ومصفت بها الرياح - تلك الوحشية التي تتفوق في الإنسان عند
الحيوان ، تركه وجعل من نفسه هدفاً لاصفته المروجا . واقبل على
قبته يفرز رأسه فيها ويصفع وجنتيه يا اوتيه من قوة ويشد بكل
جسده على رجله الاولى ثم على الثانية ويومل وينبح لا تكويل
الضباب او زجاج الكلاب .

- وادنا ! وامصيناه ! واضلواته ! دن جديد لم يضر عليه
بضعة ايام لم اشترته ، واجر قلباه !

كان يريد ان يعرف من كسره ،
هل انكسر من تلقاء نفسه . كلا لا بد من
ان انساناً كسره نكابة به او حسداً
او لسفالة في طبعه . ولكن متى حدث
ذلك وكيف ؟ ليس ثمة ؟ إشارة تدل

جميع
في آخر النهار ثلاثة من الفلاحين الذين يشتغلون بتلطف
الزيتون وخبطه وهم يحملون السلالم والمحي والفنف .
لقد لا قوا من يومهم نصبا ، وما كادوا يبلثون مقل راحتهم حتى
مروا الى الارض كأنهم خشب مسندة . فالدن الكبير الجديد
وجوده . شقوفاً الى قسفين على ان قطعة كبيرة من بطنه المتفتح
قد انفصلت كما لو قدت يسكين حادة من اعلاه الى اسفله .

- اني اموت . اموت . اموت . اصرخ بصوت كأنه أت
من القبور احد اوتك الثلاثة وهو يقرع صدره بيده .
- ومن فعل هذا ؟ سأله الاخر .
وصاح الشاك : نكسني امي
ومن يقرى على الوقوف في وجهه . اشهد الله بان العن جدية ،
واسفاه عليه .

فاشار الاول بالانسحاب في محم واضين عند الحائط الخارجي
جميع ادواتهم . ولكن الثاني عارضة بقوة وقال :
- يا السباين ! دون لولا لا ينخدع ، يوسمه ان يعتقد باننا
نحن الذين كسرناه . لنزوم مكاننا جيماً . ثم خرج من الدار
وجعل يديه كالقنم امام فمه وصاح : دون لولا . يا دون لولا .
كان دون لولا في اسفل الوادي يراقب مغرقي الساد الكيسي
وكان الربد يطو شديقه وهو غضبان كعادته ، يرفع يديه ويضرب
بها قبته البيضاء فيضرب رأسه فيها حتى الاذنين وهكذا دواليك حتى
تجبله جيئه وميئه وتطلي له رقبته
ويصيح من الصبح ترجبا الا بد
الجبل الجديد .

ان نيران الاصيل الاخيرة بدأت
بالخمود والتلاشي من صفحة المساء .

قصته

على الصنف . أَيْ يكون وصل مكرراً من معلل ؟ هذا محال !
كان له ورثين حلو لا كرتين الاجراس .

ولما رأى القلاحون بان عاصفة غضبه الاولى قد تلاشت شعروا
بمخضونه على السكينة والصبر . فاصالح الدن يمكن وجهر كسره
ليس من الاشياء المستحبة . قطعة واحدة فقط هي المفصلة منه .
واي جرأ ماهر يوده جديداً كما كان قاماً . انه الم ديا . الذي
اكتشف معجونا يأتي بالمعجزات يوسه ان يقوم باصلاح الدن . انه
يضم الى صدره هذا المعجون المريب المدهش ويضن بسر تحضيره
حق على جميع القديسين محبتين . معجون لا تأثير للطريقة عليه
اذا جف ، فاذا اراد دون لو فني الدن وقبل طرود الفجر يكون
امامه « الم ديا » وباسرع من طرود عين يود الدن احسن مما كان .

رفض دون لو في بادى الامر نصائح القلايين وتوالتهم :
« جئنا نحاول اصلاحه . لقد انتهى كل شيء . لا دواء ولا
معجون يجدي » وبعد التيا والتي جرب بان يفتح نفسه بنفسه
فقال : « ليكن اتوني بالم ديا » ومع الفجر حضر هذا الى
البد يحمل على ظهره قفة تحوي ادواته .

كان شيخاً هاماً مقرطح الرجلين الواحدة تضرب الذل
والاخرى الى اليمين فيتدوى وهو يثني « كسر » .
اشبه بتلك المقد المنتشرة على جذع زيتون غزير قد
اعتم الصمت فلا يتزع منه اقل كلمة الا بكلمة جارية . انزله
يدل على الحرس وحزنة الظاهر له اصوله في نفسه وجسمه المشوه .
انه يشمر بمركب النقص وما كان ليشق بأن الناس في وسهم ان
يفسدهم ويقدرهم بما يستحقه فضله كفتوح وان لم يسجل اختراعه
بعد . كان عليه ايضاً ان يتلذذ حق لا يسرق له احد سر تحضيره ذلك
المعجون الذي دونه معجزات الانبياء ؟

— لوني هذا المعجون ! قال دون لو وهو يلبس بنظواته
« الم ديا » من رأسه الى اخمصه .

فرفض هذا بإشارة من رأسه وقد امتنع صدره عظمة وقال :

— ستره مند العمل . — سيود الدن كما كان ؟

وضع « الم ديا » ففتحه على الارض واخرج منها متديلاً كبيراً
مهيئاً بأمت اللون وقد لفأ دقيقاً . بدأ ينشره رويداً رويداً
رويداً امام الابصار التهمة وفصول النظارة الجشع . واخيراً اخرج
نظارتين يجمع مبدما الى عاد وغود مريوطتين الى بعضهما بالخيوط .
ثم اخرج مثله طعلاها الصدا مسكورة هي ايضاً ثم تنهد طويلاً وضحك
النظارة كثيراً . لم يابه لضحكهم ونظف اصابه قبل ان يتناول

النظارتين ووضعها على انفه وبدأ يغمض الدن قصص الجيد للامور
الخطيرة وقد اخرج الى البراء فوق اليبدر ثم نطق بكلام كانه
الحكم لهم : — سيود كما كان .

— بالمعجون وحده فقط لا اؤمن . يجب ان تضم ايضاً
مفصلات من حديد .

— اذا استودعكم الله . قال ذلك وهو يقذف بالقفة على
كتفه ، ولكن دون لو اسكه من ذراعه :

— الى اين ؟ هكذا تمايح المريض المحتضر ؟ ما هذه المعجزة ؟
هل تنظك احد ورثة الاسكندر ذي القرنين . ويل لك من شقي
تمس ايها الاحمى التسل والدمج الحلقة لست فيع بيد قن واقل
من حمار عليك ان تلين لاورمزي . اريد ان اضع الزيت في الدن
ويشرب الزيت من الشقوق حين لا تمسك بمفصلات من حديد .
أفهمت يا أبه البلاء . هل يوسع احد من الانس اصلاح شق طوله
نصف كيلومتر بالمعجون فقط . اريد مفصلات من حديد . معجونة
مفصلات اني أتوك بذلك . ثم تركه وذهب ليسي بامر فلاحيه .

شرح « الم ديا » بمعل متلفع الادراج من الحلق والنضب
الذي يود . حلقه وغضبه كلما تقب قلباً جديداً في
رأى بعلما بعد . وما كاد يتبع من علمته حتى قذف
بأنفبه في قفنه وخرجهم القطة المفصلة في مكانها ليتحقق من ان
التقوب على بعد متواز وانها متقابلة في الطرفين . ثم قطع بكاشته
خيوطاً من حديد حسب عدد المفصلات وتادى احد الفلاحين الذين
كانوا يجنطون الزيتون ليسانده .

— تشجع يا م ديا ، قال له ذلك لما رأى مسخته لا
كسحنة البشر .

رفع « الم ديا » يده بمركبة عصبية قم من عقده الشديد
وفتح علبة التناك حيث المعجون ورفعه نحو السماء وهزه مراراً كما
لو كان يريد ان يقدمه قرباناً الى الله ما دام الناس لا يريدون
ان يقولوا له بفضانل هذا المعجون ، ووضع منه شيئاً فوق سبابته
وبدا يطلي به القطة المفصلة والصعود حولها . ثم تناول الكاشة
ومفصلات الحديد وقذف بنفسه الى داخل الدن من جانبه المتصدع .

— امن الداخل تريد العمل ؟ — سأله الفلاح الذي حضر
لمأونته وكان مسكناً بالقطة المفصلة .

لم يجبه بإشارة من يده امره بان يضم تلك القطة في مكانها
من الدن كما سبق وجربها منذ هنية وقبل ان يضع المفصلات قال

للفلاح بصوت يرتجف كأنه يريد أن يسكني :

— شد اليك . شد اليك بكل قوتك وسترى اذ تنفصل القطعة ام لا . تكتله امه كل من لا يريد ان يصدق . اضرب اضرب يجمع يدك واصم رنينه الصافي مع ابي موجود في داخله . اذهب الى سيدك الجليل واحمل له الحبر البقيين .

— من هو فوقك يحكمك يا عم ومن هو دونك يخضع لك . هذه حال الدنيا حاكم ومحكوم . قال الفلاح متنبهاً من اعناق صدره . ثم اردف : — ضع الفضلات ، عجل .

بقي المم ديميا اكثر من ساعة وهو يضع مفضلات الحديد ويثني لمسا رؤوسها بكباشته . كان العرق يتصبب منه كالسيل فيسرب في عمر الدن . كان يتدب حظه العائر وهو يشتغل وكان الفلاح يشعسه وبطيبي خاطره .

— والآن ساعدني على الخروج ، قال اخيراً المم ديميا وهو يسمح عرقه بطرف كره ويؤيد ما تركم منه على جبينه بسباته .

ولكن . ذلك الدن بقدر ما كان واسماً طله بقدر ما هو صق من عنقه . ان الفلاح كان يتكلم بوعده له لما سألته . " لنن الداخل تريد المم " ولكن انشأوا . والآن فقد حاول وجوب في الخروج . اذا الفلاح ودلاً من ان ويتأيل ذات اليمين وذات الشمال . لقد هبهم نفسه في الدن . هذا الدن الذي اصلحه ورده احس بما كان والآن لاسيل الى الخروج منه . وليس هناك الا سيل واحدة يجب كسر الدن ثانية وسيبقى مطوباً في هذه المرة الى الابد .

ان الضحك والقهقهات والصراخ جلبت دون لؤ . كان المم ديميا من داخل الدن يتخطى كالغرة الوحشية النازة .

— اخبروني يا الله . اريد ان اخرج . حالاً ساعدوني . صق دون لؤ في يدي . الامر ما كان يدري كيف يصدق . — كيف هناك في داخل الدن أخاط نفسه بالقطعة .

اقرب من الدن وخطاب ذلك الشيخ التيس :

— أنتسخت . وكيف اغثك ابي الشيخ الاحق ، كيف قلت ؟ اما كان عليك ان تأخذ الاحتياطات اللازمة اولاً ، هيه . تارني ذراعك هكذا . ثم رأسك . هيا . لا ، لا ، هيا . اذا ؟ ازل انتظر ا هكذا محال . ازل ا ازل ا كيف عملت ؟ والآن ما العمل بالدن . صه ، اسكت لا تتحرك . اياك والضجة اياها التفت الى من حوله وصرخ بوجوههم . فكأنهم اسي

سيققدون سيكتهم لا هو .

— ان الدخان يتصاعد من رأسي احس به يتغير . السكينة السكينة ا هذا حادث جديد آتوني بالقطعة .

ثم قرع الدن مراراً بفواصل اصابعه . حقاً كان رنينه كرنين الجرس او احسن .

— لا شك في أنه عمل جميل . لقد عاد كما كان جديداً رويدك . انتظر . قال للسجين .

— اذهب انت وشدي الي القطعة ، امر احد الملاحين . ثم اردف يخاطب نفسه وهو يحك جبينه بكتلتا يديه وباصابعه المشرة .

— ارايت ماذا حدث لي ؟ ما هذا دن ، هذا من عمل الشيطان قف مكانك اقف لا تتحرك . — ثم ركض وسند الدن حيث المم ديميا وقد فقد صبره وبدأ يتخطى كما يتخطى الوحش في القبع .

— حادث جديد غريب يا عزيزي ، اوالهامي وحده يوسه ان يحله ، اني ذاهب وسأعود حالاً . صبراً ، ان ذلك في مصلحتك وفي هذا الاثناء هيا ، السكينة السكينة . اني اسي وراء

— اني وقيل كل شيء . وكى انفذ حقوقي اقوم او لا وارجي . دونك اني ادفع لك اجرلك . ادفع لك يوسك كله .

— هل لك في ذلك .

— لا

—

واخرج ، من جيب سرواله المتفتق القود وقذفها في داخل الدن ، ثم سألته على عجل :

— هل تناولت طعام الافطار ؟ آتوني بالحفر والادم حالاً . الا تريد ؟ اذا اذفد به الى الكلاب . حسبي بانني قدمت لك .

ثم امتطى دابته وسار بها خيباً نحو المدينة . من رآه على تلك السرعة فقد ظنه بأنه ذاهب باختياريه الى الجارستان ليجعل على نفسه .

من حسن حظه انه وجد الهامي لا عمل له في تلك الساعة غير الضحك والاستعراق به لما شرح له دون لؤ ذلك الحادث .

— وماذا يضحك سماعتك ؟ اجل انه لاناقة لكم في الامر ولا جل . اما انا فلي دن كبير جديد غالي الثمن

ولم يأبه الهامي لملاحظته وظل يضحك لابل وطلب منه ايضاً ان يقص عليه الحفيرة ثانية وثالثة ليقدر ان يضحك . وكان يسأله : هل خاط ذلك الرجل نفسه بالدن . وهل دن لؤ يريد ان يحتفظ به في الدن كي لا يكسره ويخسره .

أجب ان يكسره واخسره اذا ؟ فاجابه الهامي :

هل تعرف ماذا تسمى معاشتي في مرف القنون تسمى
الحجر على انسان .

- احجز على انسان . ومن حجرة ؟ ايس هو الذي حجز
نفسه ؟ فاحبتي اما في الامر عندئذ شرح بالجمعيه انه امر عادي
من ناحية عبثه ان يطلق حلاً سريع اسره حتى لا يتبعه حجر على
انسان ومن ناحية اخرى فان مصالح الناس مسؤول عن العسل
والزهر اللذين يسبح اما لالهاته او لعدم كفايته في مهنته .
- معنى ذلك ان عليه ان يقدم في غنى الدن . ليس كذلك ؟ -
سأله دون لاء متشككاً الصدا .

- على رسلك لا تكلم وكان حديداً .
- واذا ؟ - لانه كان قديماً مكسوراً ؟ اما نعم .
- كلا يا سيدي فانه الآن سليم بل حسن من يوم هوجسه
يعتقون بذلك . واذا عدت الآن وكسرتك هل تستطيع تقليده
وذلك معناه خسارة في حجارة ابدية باعادة الجماعي .
ومعه هذا ان يسوي الامر على احد
العم ديا على دفع غنى الذين معتمداً على حجارة
- احطه هو نفسه بقدر غنىه
#

ما كاد يصل حتى وجد الفلاحين كما كان في السابق
ويعرجون كآبهم في عبيد حتى كادوا يمشون في ارجلهم
وقهقهة ونساجه ويصاحون دونه بقدر ما كانوا في
ايس فقط بل وصاروا في التفكير بخاتمه هذه العجبة العربية
ومع انه كان يضحك فقد كان يشوب ذلك مسحة من الحزن .
فرق دون لاء لحم من الدن وقت قرب منه واشرب بعقته
ونظاع الى دخله . - اراك مسروراً حيث انت .

- مسرور جداً انه مكاب بارد يعني هجرة الظهور الى
الفضة على دنني . تشرعنا على كل ان اعطاك بان هذا الدن
اشترىته بواحد وعشرين لغرة عديدة . كنت قد اياه بساوي الآن
- وهل ادرهن التخيير ؟ سألهم العم ديا صديقه كليله .
ضحك الفلاحون .

ازهر الصدا ! دونك هذين الامرين : . ما ان يكون
المجنون معقول ناعم او لا فاذا كان الاول فمعناه انك دجال واذا
كان صحيح المعقول فان لندن كما هو الآن كسنته لاصيلة فكم
يكون ذلك . قدر أنت . فكم العم ديا ملياً ثم قال :
- دونك الجواب . لو تركتي حنايك اصلحه بالمجنون وحده

كما كانت ذهني قلوباً وقيل كل شيء كنت موجوداً هاهنا في
داخل الدن وكان يمكن ان يقدر بالثمن ذاته تقريباً الذي اشترىته
به لأن وقد شوهته هذه المفصلات الخديبية التي وصفتها انا
من الدخول . ورغم ان امري ههنا غنى يمكن ان تجد له ثلث
ثمنه الاصلي . ليس كذلك ؟

- الثالث ؟ اعي اربع عشرة لغرة ورتا اقل من ذلك
- انفقاً ادا . اقم في شرفك انك لا ترجع بكلامك .
اهلتي اربع عشرة لغرة .

- ما اذا ؟ اذا اعطيك ؟ سألهم العم ديا كأنه لم يسمع شيئاً .
- اني اكسر الدن لاخورك وانت ستدفع لي ثمنه حسب
التخمين اسي قدرته انت الآن هكذا يقول الجماعي وهو رجل عوفي
ان اذوه اربع عشرة لغرة جديك لا شيء ما ح
لا لا افضل مسكناً على مسكني هذا حتى لا أقصر لك بنظر اينة
ثم اخروج من حبيبه ومحمد عديونا فمضاه ثمنه واشمله واستعمل ووجهه
. منها

فقد عا له هذا الامر جديد لم يكن
بالسكن الخروح من الدن . وانما هو ولا
الذين والآن كبر الافلاك من هذا المأوى
. الى الى الجماعي . ولكنه فكر وقدر في
الطريقه قد وجمعت حشوش الظلام .

ويوجد ذلك السكن في الدن ابي هو ملكي
ليشهد احاصري على ما اقل . انه رفض الخروح كي لا يدفع الثمن .
وانا استعد من اكسره . ولكن انا وقد فضل الإقامة فيه في
سأرفعه دنا . اتم القضاء دنا . أولاً اعتصامه ملكي في ثوب الخيالة
بني وبين الدن واستعالي له في الروح ابي اريده .

وقبل ان يجيئه ألم ديا وبشكل هدير . دفع من فوهة الدن
بذقة الثانية من الدخون .

- كلا يا سيدي لا اريد ان اتمنك من كل ما ذكرت .
وهو تفضي انه يذل في الإقامة في هذا الحميم . اخرجني وانساذهب
الى شافي ولن اختلف ورائي . تريدني ان ادفع لك هاهنا يا
لستحريه . وفي المدام صاحب المقام الرابع - كاد دون لاء .
شده مضه يرفع رجليه ويوقش ذلك الدن ليحطمه . ولكنه بدلاً
من ان يفعل محتواه من دراهمه واخذ يهز يجر كفة عصية

- ما اريك في هذا الدخون ؟ سألهم العم ديا
- افرك لك بها الاعمال . من منا ارتكب الحماقة الكهري

هذا بيت لولي الدين يكن
ردده في محبة من الحق ،

وكان ولي الدين من الشراء الذين
حاشوا على يؤس ولم يتودوا ، لقد
شهد في عصره مظالم لا يحصى لها عد
ايام السلطان الاخضر ، ولقي الفت
والشكر ، فباليلة روع فيها وأودى ،
وأخيفت زوجته الحامل واسمه
المجوز ، ومضيه ظلموه مصقداً في

قطع من الليل الى منفا بيسوس ، فلم يجد وسيلة لتنفس كربه
حين كان يترقب به الجند في بعض الطوبى بخانات الاقارول الا ان
يكتب شعراً على الجدران يشكو فيه ظلم الانسان ، ومن قبل ولي
الدين كان في طريق ادبنا العربي شعراء ادرهم العنت والاضطهاد
في العصر الاديوي كتب يزيد بن الفراء شعراً احزان على جدران
في طريق خراسان ، شاكياً الى الله والمادجور عباد بن زياد .

مهلاً ولي الدين ، لقد كان ظلم الانسان للانسان قدراً
وسبقني اديباً سرمدياً ، قال قيس بن
المقدسة فكان اول ظالم غاشم حقت عليه بحجته اول
البشر من ذلك حين سبيل النصب ، وقد
شكوى المقربون وضلالة المندوبين ،
كانت على الارض شطوان للقوة والظفر ،
مصركين ، مصركين للشعر ومصركين للحرب الانسانية بين

ظلم الانسان الانسان

ظلم البيرة وواد سالكيني

ظالم الناس بضم نذ كانوا

✱

الفريقين ، تحشيش العدو وتتمسرس
بافتك والنداء ، وتراجعت احوال هذا
الجند ، واستفعلت خطوبة فلا السهل
والجبل قاره وحديده ، واهتد الى
الافاق والاعاق بلاؤه وأذله ، وان
لهذه الحرب الانسانية جيوشاً ولدت
الجيوش التي زاهها وسلاحاً
سبق في المده السيوف والبنادق
والاساطيل والقنابل ، ومراتب

هذا الجيش الانساني الاول ، متفاوتة الخطار والاث ، ولبوسه مختلف
التلاوين والازياء ، فكما تكن رتبة القائد الكبير تلك رتبة
المظالم والمظالم ، ودرجات النذر والاثم والرياء ، ولكل من هذه
الاساطيل جنود مجتهد من صغير وكبير كأنها جند ابليس مومسرك
الحق في شاق من امره ، فهو ضائع الصوت ، مذبذب الهرهسان ،
غريب الوجه واللسان .

أرى أكان من حظ الانسانية منذ كانت ان تشقى ، وما
العدو ما كنهه ؟ انه فسحة متفارقة من زمن متطاوّل ، وما اراده
يشه لكل هذه الازياء والمطوّل .

وما كان من هذه الازياء والمطوّل ، فما احبه وما
رماه ، ولا في كالمات اعانه ونجاه ، يظلم الفرد الفرد ، فيجسد الجار
جاره وينقض الأخ لأخ على اخيه ، وتكيد المرأة للمرأة ، ويجور
الرجل على الرجل ، ووسائل الاداء في هذا الشر لا يأتي عليها جديد

نظوه الى البيدر فرأى تحت ضوء القمر الفضي شياطين وقردة .
هم الفلاحون وقد لبست الحفرة برؤوسهم فتأبط الواحد ذراع الآخر
واحاطوا بالذن ورتصوا . وما غاظه اكثر من كل هذا ان الم
ديا كان ينفي من الداخل بصوت تكعاد تنفير منه تنجرت .

في هذه المرة لم يملك دون لوزام امصابه . فومى بنفسه من
فوق السلام كاثور التاز وهو يهدر ، وقبل ان يتسكن الفلاحون
من تلافى الامر وامساكه فقد دفع بالذن بكل قواه فتحرك هذا
وقابل ثم انحدر من السفح . وكان له قعقة فاقها الضجة المتصاعدة
من قهقهات اولئك السكارى وتدهرج واصطدم في احذاره بجذع
زيتونة فتطمع وخرج المصحين . وكذلك ربح الم ديا القضية .

مصطفى آل عيال

اهو انا ام انت . وبعد هذا هل علي ان اخسر الدن . كلا
مت جوعاً هنا سئرى من سرجح القضية .

تركة وذهب ولم يتفكر بالثلاث ليرات التي دفعا له في هذا
الصباح . ولكن الم ديا فكريان يدع الفلاحين الى شهولية
ويقدم لكل منهم كأساً من الخمر . لقد تأخروا عن الرجوع الى
مساكنهم بسببه فقروا ان يبيتوا ليلتهم على البيدر في البراء .
ثم ذهب احدهم الى اقرب حانة واتى برز من الخمر ووضعه
قرب الدن . وكانت الليلة على خلاف عادتها ليلة صافية قراء .

اما دون لوز فقد ارى الى داره المشرفة على تلك البقعة وجرب
ان ينام ولكن لم تنمض له عين وما كاد ينفى قليلاً حتى استيقظ
مذهوراً . فقد طرق مسحه ضجة الجحيم . خرج الى الشرفة وحدد

تعالى دون وصفها الاقلام والاسنة الجداد ، وقد فلسف الانسان حربه الدافعة الطالعة ، فخلع عماؤه النفوس وعلموا الاسباب ، وصنعوا المنازع والاهواء ، وكان من قبلهم اهل الدين قسداً سبقهم الى الكلام في هذا التمايل والتحليل ، فكان الرثيون يتغلبون لغة لاهير وشياطين لاشع ، وكانت الثنية غلاً دنيا فارس في القديم ، فتقف بين محاطير لا يتهايان من دنيا الظلام والنور ، والسرور والجود .

ودس اهل الادب انفسهم في هذا المعترك ، بل زجتهم الطبيعة في الوقعة لانهم لسان الشعور والتعبير في كل تفكير ومصير ، ورأى الشعر ، عالم لا يهوى ويرث شعره حياً ، مدحج فاقم قليل منهم شرعة التقشف والتعفف ، فتجاوزوا عن السينات وامتصوا بالمروات ، وتأبى آخرون فالانوا ولا استكانوا ، فكسروا من قرون بيدي لامة ولا يهوى . صعد ، انهم الطيبون ثم انهم الواقعيون ، ومن رايهم ان الحق للارقي قراح ابو الطيب يعبر عن خواطرم في ظلم الانسان للانسان قائلاً :

والظلم من شيم النفوس فان نجد دامة فمة لا يظلم

الا ان ترك ولي الدين ، وآتي ابا الطيب ، فقد كان هذا الشعر الجبار يغوي في مذهب القوة ويدعو لبقاء الاقوى ، وله يدري انك لمنني مح البام ويريد ايدي الناس ، فله في شمره انه كان كذلك في كل يوم من ايامه ، لا رضي بضمف ، لقد كان يحب القوة والظلم ، من فيه يهوى به ، على خائفة ، ففي شبابه وعنفوانه كان يقول بضرب السيوف وقبل موته كان يقول بطون الرماح ، وقد اوردته احدى يومه الاخيرة المشهود ، فميز رأسه وراح جسده جزر السباع ، في اليد التي من دونها بيد ، ما عرف قبلها العيد ولا رأى بعدها العيد .

أكان ابو الطيب صادقا حين رأى الظلم يركباً في طمع الانسان منذ كان ، وان المرء اذا حساد عن الجور والدون كان ضعفه وتحذره سبب حيدته وعفته ، بل كان ذاعلة في هوانه على نفسه وعلى الناس ، فما كان اجدر ابا الطيب وقد رأى الظلم فضيحة والتعفف من الظلم نقيضة بأن يكون قائده مسكرو ، وهو لم يقصر في هذا المضمار ، أفأ كان يحارب مع سيف الدولة في ديار الروم ؟ وكان المتنبي فارساً وكان ضارباً بالسيف وطامناً بالسان ، ولقد كان في شمره صليل الرزد وجمحات الحيل وهتاف الابطال ، وان اكثر شمره خلوداً كان في وصف المارك فصدق الذي قال عنه في القديم « ولما أبو الطيب فقتاده عسكو » .

ولم يكن ظلم الانسان لاختيه الانسان ، مقصوراً على الفرد

والا فكمرب هذا الظلم الى الجماعة منذ كانت الجماعة ، فظلم القبيل القبيل ، وحارب الجبل الجبل ، واعتدى الاقوياء على الضعفاء ، فكانت حروب الإنسانية ومما كرها ضاربة متبادلة ما استراحت منها بقعة ولا استراح قوم ، واختلفت حظوظ الجماعات فيها على ترادف الصور ، ففي العصر الذي حمل فيه انسان التاب سيفاً من حجر ، كانت حربه اجل حرب انصح ان توصف الحروب بالجال ، وما فيها غير المقايح والميوب .

وترقى الانسان في عقله وعمله ، وتبسط في ثقافته وحضارته ، ولكنه سفل في طبيعه وخلقه ، فكان كلما صحا عقله واتسم افقه انحفضت نفسه وكفر قلبه ، والتصق بالمادة طمعه ، فويل للانسان حين ينتهي الطرفان ، عقه وطبعه ، يؤمئذ يكون الدمار والفناء .

اننا لنشط ونحن اهل القرن الرابع عشر للهجرة اولئك الاسلاف النابرين حين كانوا يتساقطون الفرس او الزوم بالسيف والنبال ، وكانوا بين ظالم ومظلوم وقاهر ومقهور ، وكان حظهم في الدنيا اوفى من حظنا نحن اهل الحضارة الاخوية . لقد اختلعت في حروبهم ثروات التي فتكت بالآلاف ، والديابات التي تدمر على حصون ، والنائضات التي تفرق الاساطيل ، فكانت اسوأ حظاً من يبيعون ، وروى سرحم الدهر على شيبته واغتياه في كهركه ، وشهدت بهما ، اقل وعهد اشقى ، ومن يدري فقد تحسده ، بله بأنه كان ظلم الانسان للانسان في زماننا بالارود والبخار ، حين تأخذهم الراجحة الكهري في حرب القرة او ما يكون اروع منها وافظم .

واين نحن العرب اليوم من طليان الإنسانية الناشمة ، اين تكون ظلماتنا الصارخة ، لقد تألبت علينا دول الغرب ، وصحمت الأذان دون جماع حقنا ، وراغت منا تبنتي كل سبيل لتلابسنا ونصرة عدونا ، فاذا العالم اليوم في شقين ، واحد هو الشرق وآخر هو الغرب ، واذا زماننا يشهد ميلاد ظلم جديد من هذه الامم المتهودة الطاغية التي كان من حيف الزمان وكيد ان تكون هي الخصم وهي الحكم ، فتجاهلنا على المطال والمهاودة ، ومشاينة العدو في الباطل ، الا ان هذا هو الكفر بعينه ، وهل الكفر الا غلط الحق وعدم الايمان وحض الحجة والبرهان .

فنعن العرب الذين نفى الى الله ونؤمن بعبده ، لن نأمن من روحه ونصرته ، ولن يدخل الزمن والفران الى نفوسنا مهما ظلم الانسان اخاه الانسان .

وداد سلطانتي

دمشق

لحن جنائزى

علم يوسف الشاروني

من المساء الأخير



توكرم اليوم متأثر بأقائنا الماضي وانهم يذكروننا في لحظات
مثلا نذكرهم ، لكفيل بأن يمت صورهم امامنا حية ومتجددة .

ان اعظم جريمة عرفتها هي ان تاهو باخلاص انسان وجب
احسان وروح انسان . ان الجرم اذ يقتل آخر قربنا يبيع هذا الآخر
من . ش كل كانت حقيقة به ، اما هنا ، حين نخطم قلباً او مستقبل
... هذا انتكح حك ضيعتنا في تزع دائم ، لا قوت ولا تحيا .
... هذا انتكح بال . سلاقة او الفصل ، بل ان كل لحظة من
... هذا الاكبر . انت من ضيعتنا بتأية اقتراف الجريمة من
حذر ، وكل خطوة يحولوها نحو الألم والشقاء . نحن المسؤولون عنها .
وليس ثمة فقران من الضعية ولا توبة من الآثم تستطيع ان تغير
الجريمة ، ولا الزمان ، بل كلها اوغل كلها تضخمت الجريمة لان
الحية الاولى قد اعقبها بالضرورة سلسلة من الشكوك والآلام .

احياناً ما نقف عند لحظة من حياتنا ، بعدها تصح الذكري
هي كل ما لدينا من واقع .

الحب كالليل كلما اردنا ان نفر منه ازدادنا توغلاً فيه .

»»»

كثيراً ما نجب ان نؤلم الآخرين ، بأن تصور لهم مقدار مسا
سبوا لنا من ألم .

حين نتهم جديتنا ، بوضعنا المستقر ، نبحث عن مكان آخر ،
فيشعرون اليها بطريق يظن انها تؤدي الى المعادة ، فندرس حاملين
منا كل ما لدينا من آمال واحلام ، ونظل نسير ونسير حتى نؤلم
في الطريق . . لكن الطريق يطول ، وعند كل شجرة نوقف بنا

امامنا ، يصح التذكر عملية استراقية بليلة مزعجة .
في حياتنا الخاصة لا يتجاز الواحد من الآخر امامنا

بالذكا ، او الجمال او المال ، فهذه ليست سوى مقولات عامة تنصف
تحتها الناس لكي يسهل تعرفنا عليهم ، لكن الجليم يظنون امامنا
سواء من حيث انهم يتبعون الى عالم الآخرين . حتى عاق
الذكرى ترويحها بيننا وبينهم . ان
جمال وآلام هي وحدها التي تغير نحن هذا الإنسان في . . .
دون الماقن .

اننا لا نستطيع ان نجعل من ماضينا مجرد الاكروبات والماضي
بل يجب دائماً ان نحمده في اشياء مادية ، في صورة او خطابات او
حصة من الشعر او في ميد من الامياد . فالامياد ، ورؤية الاشياء
المادية تحيل الماضي امامنا الى حاضر ، وكأقرب ما يكون الى
الحياة الراقية ، وتؤكد لنا دائماً ان ذكرياتنا ليست من اختراعاتنا ،
بل ها هذا الدليل : ها هي ذي صورتها ، ها هي ذي خطاباتنا ،
ها هي ذي خصلة شعرها ، ارها هذا يوم لقائنا وهذا يوم انفصالنا .

ما أجمع ان يقتر الماضي امامنا ، يجب ان نعيش في طرق
جديدة باستمرار ، حتى اذا حدث ان عدنا الى اماكننا القدية ذات
مرة اختلجت نفوسنا باكتشاف هذه التربة التي اصبحت بيننا وبينه
بهذا البعد الذي بقف بيننا وبين ماضينا . ان هذه التربة هي هذا
البعد ، هو الاحساس الجديد هنا الذي لم نعرفه في ماضينا .

... اننا قد نستطيع ان ننسى مع الزمن هؤلاء الاصدقاء الذين
اتوا وفهم القهر ، لكننا لا ننسى ابداً هؤلاء الاحياء الذين
اصلطنا موتهم في قلوبنا . ان مجرد الفكرة بأنهم احياء وان

55

أي مكان أو مرفق من مرافق الحياة «كأرابع» ، و«قاسطو
الاحبار» ، «واللاطعات» وحفلات الرقص والمستحبات ،
و«راكبو الدرجة الثالثة» أو فتاة تقرأ أو غيرها . وقد تحوي
اللوحة صورة شخص معين ، أو منظراً مجزئاً ، أو تمثل بعض الأدوات
اليومية ، والفاخرة والحیوانات وما إلى ذلك . والذي أريد من
هذا التريد هو أن أظهر لكم تمدد الموضوعات القابلة للتصوير
وتباينها وتنوعها .

الشكل : وهو همان الشكل العام وهو الشكل الخاص
بالتركيب العام لأجزاء اللوحة واقسامها وهو نتيجة مقودة
للتكوين والتأليف وذو اثر فعال في النفس لونه الأولى ، وهو
بدوره متعدد التركيب كالشكل الأهرامي أو المثلث أوغيره .
والشكل الجزئي وهو جزء من الاشكال التازية التي يتألف
منها الشكل العام . وقد تتكون منها مجموعات متعددة اهرامية
أو دائرية أو غير ذلك . . وتتضمن هذه الاشكال الجزئية
اشكال الاشخاص والمفردات حسب الموضوع . وسرى فبا بعد
كيف تناول الفسوف في او غرا القرن التاسع عشر .
بالتبديل والتحويل .

الخطوط والألوان : وكما يعلم ما رسمه من لوحاته
الى التلخيص .
إذا تذكرنا هذه العناصر الثلاثة استطعنا ان نكون فكرة
واضحة عن سبب الى واتقانه من مدرسة .
الى الحالة التي وصل اليها اليوم .

بدأ القرن التاسع عشر بعد ان انتهت الحروب والحوادث
فرنسا ، وغتار فرنسا لانها في الواقع نقطة البداية التي انطلق منها
الفن الحديث كما نعرفه اليوم . فقد اجتاحت ثورة عاصفة لم يبق
من ماضيها شيئاً ، انتشرت على اثرها آراء ومبادئ جديدة كما
انقرضت براسمها آراء ومبادئ قديمة بالية ومن الامور التي
انقرضت تلك الملكية الفرنسية المظلمة والاستبداد . بالطبقات
الفقرية الدنيا . ومن الامور الجديدة التي ظهرت ، شعور متطابق
بالحرية والذاتية وحمية قوية في التعبير عن النفس دون خوف او
وجل فأرينا بعد ذلك كتاباً يحملون الاغلام ليكتبوا اعترافاتهم
او قصصاً رومانسية لاقت الى الدين او الميثولوجيا اليونانية بسبب
ولا تتماشى الطبقات الحاكمة او النبلاء ورجال الكنيسة ، كما
بدأنا نسمع الحائات جاعحة تارة تمهر عن نفس جاعحة تارة تشر
بكيناها وحريتها ، ورأينا لوحات انطلقت اشخاصها وخيولها من

مواقفها الجامدة المهادنة في حركة جريئة ثائرة . فتحطمت السلاسل
وانفرد عقدها فاذا الجديد على قدم وساق واذا التقديم البسالي
يتنازع آخر انفسه لوقت طويل ولا يوت . وهذا الاندفاع الزاخر
بالقوة والطاقة هو المجرى الاول الذي اطلق للفن ساقه فجبرى ثم
خب ثم ركض ثم جن وطار .

لتكريث قليلاً نستعرض تلك العوامل التي اعتقد انها اخطو
عزلاً ، وربما الانسان منذ ان تدعى ولادايان المنتشرة اليوم ، خلقت
بفضلها حياة جديدة وعصرأ جديداً ، وثقافة جديدة وفناً .

في اواخر القرن الثامن عشر سعت الملكية في فرنسا
وبسقوطها تقلقات العروش الاخرى في الغرب مباشرة وغير مباشرة
وبعد وقت طويل في الشرق . وسقطت مع الملكية طبقة الاغنياء
والاستقراطيين والنبلاء ، وبذلك خلت اماكن الحكم فقام الشعب
والمفكرون بتجارب جديدة فأشأوا ما نعرفه اليوم بالنظام
الجمهوري المؤسس على المبادئ الديمقراطية التي تمتع الفرد - نظرياً
او فعلياً - بحرية الرأي والامعان والمعتقد والقول والمفكر .

وكانت
وهذا
سبب
تطلب
يستقر ويدل .

وفي النصف الاول من القرن التاسع عشر ظهرت الآلات
التجارية السريعة ، والتنافر ، والآلات التصوير ، فظهرت معها
التجارب العلمية المستعجلة فاذا النصر يكافئه عصر تجارب بحث
فيه الجحيم عن انظمة ووسائل جديدة وتعمل البحث على مرافق
الحياة والفن والفن . فلا عجب اذا راينا الفنانين يزوجون بأنفسهم
في زمرة الباحثين ويشربون بالتجارب وهم هم المرأة الصاعدة
الامينة لصرهم وبيتهم ومحيطهم .

وفي عام ١٨٠٩ نشر المفكر « دارون » كتابه الحاد « اصل
الانواع » ففاز به اسس الايمان واحداث ذلك زراعاً فكرياً اجتماعياً
وروحياً جديداً أدى بدوره الى تجارب علمية وبيولوجية وفكرية ،
وحرر العقل من قيوده وفتح امامه موقلاً جديدة يطوقها ، كما
افصح له مجال الاستقصاء والبحث والتنقيب ، ومنه مؤزة الناقد
الحر الزرية المجرد ، وبذلك كله جعل الانسان مستطاعاً اوسع
فكراً بما كان عليه من قبل ، يتقبل النقد دون ثورة او تذمر ،
فتسربت الى الغرب تاليم الشرق وافكاره ، ومعها تسربت تصاوير

اليابانيين وخزف الصينيين المزركش وسجايع الفرس ورسومهم ، فأخذ الغربي يقابل بينها وبين فنونه ويدرسها ويحاكيها فإذا به يدرك ان هنالك ثقافات اخرى غير ثقافته ، ومدنيات وفنون متعددة ان كانت تختلف من فنونه ومدنيته فهي ليست في اي وجه من الوجوه أدنى منها او احقر ، بل ربما كانت في الواقع ارفع مما لديه واقي . وكان اثر هذا الفتح من الفنون الشرقية واضعاً كل الرضح عند الفنانين امثال فان كوه ، وكومان ودي شافان واغبر ماتيس .

وهناك عامل مهم كان له اكبر الاثر في تحوير الفنان من قيود الماضي وضعب المدرسة المتأثرة ، وهو انقراض تلك الفترة من الباروك ونيكلا ، ورجل الكلاسيك الذي قبل عنهم انهم رعو الفن وتصوروه . ففي الماضي كان الفنان اداة في ايدي هؤلاء ، يعمل حسب ارادتهم وطايرهم مضطراً . وكانت لوساته اجابة لطلب منهم يتناول على صنما أجراً يتفق واياهم عليه قبل ان يخرجها . وكانت شهرة الفنان بالتالي تتوقف على درجة ارضائه لصاحب العمل ، وقيسته الفنية على ما يرضيه عليه هذا من مال او جاه او مكانة اجتماعية او سياسية مرموقة ، ولم يشذ عن هذه القاعدة سوى فئة قليلة من اعظم الفنانين امثال ميخائيل أنجلو ودهرانت .

في اوائل القرن الماضي وجد الفنان ، و قد كان يعمل او راع ، يعمل لا لأن واحداً من الانقياد لمحاولي ، بل لأنه شعر في ضرورة نفسه بضرورة ، و قد كان يعمل ريشته ولونته وانكب على اللوحة يبتسأ خابجات ، وصورته وحده شعوره وحوارته بالشكل الذي أدركه هو وشعر به وفهمه ووعاه ، وكأولاده وأحبه . وبذلك غدا الفنان فكرة ورأي وببدأ . وكان هذا جلياً واضعاً في المدرسة الرومانسية حتى وفي المدرسة

الكلاسيكية المبلدية ايضاً ، التي ترأسها لويس دافيد .

وبقي الفنان دون راع الى يومنا هذا يرك ويعيش ويوت شيواً سهلاً وبقية ، ممدداً الى انه خالي مبدع مستقل ، اذا اراد ان يتخلى بعيد بقوة أنجلو وجوهته وتحديه للبابا ، او بقول روبنز انه يتشلى بالسياسة في اوقات فراغه ، وهو بالرغم من ذلك كله ، او بالاعرى بسبب ذلك كله يقدم لنا اشياء لم نعرفها منذ امثاله في القرون الحوالي ، اشياء اقل ما يقال عنها انها من نتاج روحه ونفسه وقلبه ولديه واصابه وعضلاته ، اشياء هي في الواقع قسم من ذاته وشعره مما ويجبها ويخرجها كما يريد ، ولا غرو اذا عدناها مثلاً ، وثقافاً به لتكوينه النفسي وافكاره وفلسفته وآرائه .

وهكذا كان القرن التاسع عشر المدرس الاول الذي اصبح فيه الفنان حراً طليقاً ، ولقن عامة ، والتصوير بوجه خاص ، اداة تعبير عن شعوره الذاتي وفلسفته الخاصة ، وصار كالموسيقى كالشعر ، جزءاً لا ينفصل عن حياته ومادته . المدارس «تصوير» في القرن التاسع عشر

في القرن التاسع عشر مدارس عدة تجمل التحدث عنها ، في سائر ، أو ، ويجب ان يقولنا ان نلاحظ ان معظم هذه المدارس ، ردة ثورة نفسانية او ادبية او اخلاقية ، هي في الواقع ، فلا يعرف من أين تبدأ الواحد والى ، كما ، وشعر ، كما في بوحت بعض الفنانين امثال «جيمس مونيه» ، في جميع بين الواقعية والرومانسية ، او «مانيه Manet» الذي وصل بين الواقعية والانطباعية والذي يعدّه بعضهم مؤسس المدرسة الانطباعية لأنه اصرى على القليل شيت من الثور الشفاف وهو امر لم يهله احد من قبل .

المدرسة الحديده (Neo-classicism) : ظهرت هذه المدرسة خلال الثورة الفرنسية وبمهدا في ايام نابليون . وقد حل لواءه فنان الفرنسي لويس دافيد (Louis David) وهي بالرغم من انها كلاسيكية تختلف اختلافاً واضحاً عن المدرسة الكلاسيكية التي عرفتها فرنسا قبل الثورة ، اذ ان دافيد وزملاء عاشوا في عصر خال من الافة الملكية والطبقات النبيلة الطاغية فلم يرموا الرياش والنقى الفاحش حياة القصور التي عرفها اساطين المدرسة



الحرية تعود الشعب - دلاكروا ١٧٩٨ - ١٨٢٦

وفيهما دلاكروا ثورة جامعة دعوة الى التمرد والتمرد هذه غير لوحة قتل هذه الصلوات وقد ظهرت مع الثورة الفرنسية عام ١٨٣٠ وهي من اروع والمبال والدramatique الرومانسية السبعة .

فأصبحت مركز الانطلاق الأول للثورة الفرنسية الثانية التي عهد عنها دلا كروا بلوحته المشهورة « الحرية تقود الشعب » .

وقد اعتمد دلا كروا في اختيار موضوعاته على التاريخ والادب فصور « دخول الصليبيين إلى القسطنطينية » و « مذبح سيو » و « حروباً عديدة » و « صور منظر عدة من روايات شكسبير » و « مساهمة وخصوصاً » « هملت » وقد اغرم بالشرق وعلى الاخص شمال افريقيا لما فيه من الاثران الزاهية الساحرة ، فذهب اليه وعاش فيه وقتاً طويلاً يدرس الألوان الطبيعية والفرسان العرب وحياتهم ، وحيد الوحوش الضاربة . فكان له من هذه كلها موضوعات دراماتية عاطفية زاخرة بالحركة والحياة وهي المميزات المروعة عن المدرسة الرومانسية .

وكان دلا كروا ملوناً من الطرز الاول ، ترك اثرأ بعيد المدى في من تبعه من الفنانين ، وقد قال يوماً يشرح مبادئه : « اللون الرمادي عدو التصوير بجميع فروعه ، فلتخلف من ملونتنا كل الألوان البنية (القارية) والشبكية بها ، ولتدع لسات الزينة واضحة متقطعة ، فلا نصهرها ونغزجها ، وهكذا نضفي على الصورة الحرارة والقوة والضاربة . وكلما ازداد تضارب الألوان كلما ازداد زدها ونضارها » . وهذه آراء عرفها فيما مضى ككثير من كرماء « وطراز » و « روم » و « رينيسانس » و « روماني » و « رومانسي » الانطباعية فيما بعد .

وحدثت من المدرسة الرومانسية مدرسة رومانسية خاصة ، سميت بالمدرسة الباربيزونية (Barbizon) لأن أفرادها القوا جامعة قطنوا معاً إحدى ضواحي باريس ، وهي قرية صغيرة اسمها باربيزون . نذكر من أتباعها اثنين من الفنانين المعروفين - كورو (Corot) وميليه . وقد بدأ معظم الباربيزوتيين حياتهم الفنية على خطى المدرسين وخاصة كورو ، ولكن الرومانسية طفت عليهم فانقلبوا عاطفين بحسن الطبيعة ، وتأثروا بالمدرسة الهولندية

و « برسدائل » كما تأثروا بألكة التصوير فزجوا دمايتهم بالواقعية وغالوا في نقل دقائق الامور والجزئيات ، ولكننا نشدرك فلا نقول ان الواقعية بدأت بالمدرسة الباربيزونية فقد عرفنا أننا ان جريكو كان واقعياً حيناً صور طوافه الدوزخ الواقعية كدرسة لم تتكون بوضوح الا عند ميليه وكورييه (Courbet) وهو زميلاء ودوميه (Daumier) . وكان الواقعيون انتقاديين قاترين وغير دليل على ذلك تلك الرسوم التي صور فيها دوميه بؤس الطبقة الفقيرة وكدها وكدهم وقترها وشقاءها كما صور المرض وآثره وضماها ، وصور كورييه « فتيات نهر السين » وهي دموة مكشوفة ضد الحياة العابتة الالهية . ودون ميليه في لوحاته كل ما تستطعم ريشة الفنان تدوينه عن شقاء الفلاح وقساوة عيشه وجور الحياة ووطأتها عليه ، ونفسية اهل الحقول والقرويين .

وقد تلمعت الواقعية فن التصوير ولحقت بالأدب فكان من المتحمسين لها الكتاب الفرنسي اميل زولا ، وهو لا يقل واقعية في ادبه عن الفنانين ان لم يكن يفوقهم ، فقد كان كجريكو من قبله ان يكتب كتابه قصة ما عهد الى اماكن حوادثها واشغافها فدرسهم ونحسب ان ينتقل من بلد الى آخر ورا المعلومات .

... .. قصة صغيرة توضح لنا الواقعية الادبية عند زولا : فان كرهه الى اميل زولا فحسب رولا حبسه الحديق من احمه فقال :

دعت محبا لكاتب مطرقة غامضة دلت على السحب وقال :
- انني أشعر كأنني اعرف هذا الاسم !
- من الممكن ان يكون اخي قد القاه عليك قبلاً !
- كلا ... لا ... احم ! لقد تذكرت ... كان ذلك في قرية البورتيناج يوم ذهب اليها اجمع المعلومات والملاحظات الضرورية لقصتي « جرمينال » . فقد قال لي عمال المناجم هناك ان رجلاً

عبد المديعة - لنولوز لوتريك ١٨٩٦ - ١٩٠١
اما لنولوز لوتريك فقد انفراد في الخانات بطل النيشا حليفة رودادها بأمان وإخلاص ، دون عذوب أو تطليق وقد كان واقعياً في افاهيمه واسلوبه مع شيء ضئيل من التعدييرية المحسنة . ومما قبل من لاخلابته فهو دون شك واحد من العاديين الذين أنكروا قادم دون ان يسموا بالثورية ، وتهديب الاحسلاف ونحسب ، وهي امور لا تحت ، ان احببته ، لا من قريب ولا من بعيد وهو الذي ردد طيلة حياته « قبل كل ما تريد قوله » .

وقوته ، ونضب النقاد ، مما اضطر أولي الامر يوم عرضها الى استخدام القوة المسلحة في حمايتها ، من تلك الثورة المادية . وجدوا بنا ان نذكر في الوقت ذاته قصة غشتاف فلوريز المشهورة -مدام يوفاري - اذ ان المؤلفين نموا انتشارها وتداولها فطلت حقبة من الزمن تختبئ بينارها القراء سراً وفي الخفاء . وقد وجهوا ضدها السبب نفسه الذي وجهوه الى مانبي - قوة الاخلاق وتحديدها الدعوة الى الانحية والانطلاق من الاداب الاجتماعية المعروفة - وكان اميل زولا حينئذ المناصر الاول لما فيه ، وقد نشر بعد ذلك يسنوات قصته الكبرى « ثانا » فاقسمت عليه لجنة الرجبين الكلاسيين والرومانطين اذ ان كلا منهما انضوى تحت اسم شامل واحد - الاكاديميين .

وظهر في ذلك الوقت فنان آخر ، كان « كينتا » هجر النبل وزخارفه فانلا كلمته الصادقة - لماذا يكون الانسان كينتا اذا كان باستطاعته ان يصبح رساماً - وكان غنياً سرفاً في ماله ، وامرجه يبيد الى ذاكرتنا الشاعر الانكليزي بلويون ، احدى كل حياته في حانات باريس . وقامها فورس الطساحونة الحمراء ، وفي عام 1865 ، ولاقعات ، والشاربين والشاربات وكل ما يتمايل بالبحر - وذا ما اكسبه لقب الفاسق في الفن والرجل الباسف . وفي عام 1865 ، وجلس زولا الى هنري تولوز دي روتش فوجس ، الذي يشرح له الاخلاق في الفن فقال :

« يمتون كسبي بالاخلاقية كما يمتون لروحانك ابداً يا هنري ، والجهد لا يستطيع ان يدرك ان ليس لاخلاق مكان في الفن . فالفن لا اخلاقي وكذلك الحياة . والمادة من الناس يفتكرون تفكيراً ثنائياً - النور والظل ، الحلاوة والمرارة ، الحلو والكثير - ولكن هذه الثنائية ليست في الطبيعة ولا هي منها في شيء . فلا هناك خير ولا شر وكل ما الطبيعة وجود وحل . فاذا ما وصفنا عملاً ما فاننا نصف في الوقت منه الحياة ، ولكننا حين نطلق على ذلك الفن اسماً او وصفاً - كدني ، مثلاً او شري - فلما نحن ندخل بذلك مجال التعامل الشخصي . »

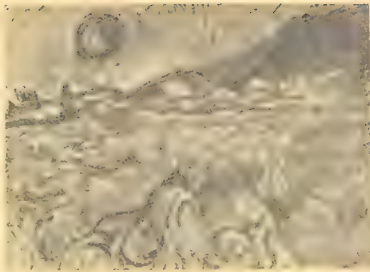
وهذه العصبية من الفنانين ومهم سيقان هم المؤسسون لمعلم المدارس التي تبنت الواقية - المدرسة الانطباعية ، وما بعدها . وسوف لا احسنكم من الانطباعية لانكم جميعكم ذلك من الاستاذ الانسي ، وهي موضوع حديث . ولكنني اريد ان اؤكد ان الموضوع في الفن قد تجرد تجرداً تاماً ، وبذلك اصبح الفنان يحل من ذلك القيد القديم فولى كل اهتمامه الى العناصر الاخرى باذ صار

له الوقت الكافي لمخوض غمار تطورات جديدة تناولت اللون والخطوط والاشكال ، فالادبية مدرسة ترجعت في اللون اكثر من اي شيء آخر . وقد غالت في ذلك حتى تعدى لها جورج سورا (Sourat) فاراد ان يميل من فن التصوير علماً يخضع للعقل كالعلوم الاخرى . فأتخذ بيتي لروحته حسب تعاليم ونظريات علمية - محدثة ونقطة الانوار الى ناطق وتعلم صنعة لكننا زاهية صافية غير مزوجة . وقد اشاعت المدرسة التي تسمى بـ « المدرسة الناطقية » (Pontéris) وكان من حقها فيما بعد الفنان بول سيناك (Signac) ، وقد اوضح سورا اسس مدرسته هذه في كتيب صغير تحدث فيه عن الخطوط والالوان واثرهما في العواطف .

واخذ كل من سيقان وكوغان (Gauguin) وفان كوه (Van Gogh) وهم الفنانون الثلاثة الذين اغتروا الفن باسمهم وأرائهم ، لتد كل منهم يقوم بتجاربه الخاصة - مناهضاً للانطباعية المعالية ومحبذاً ، قرأنا (Cézanne) يحور الشكل ويبدله ثم قديم نظريته عنه وهي : ان كل شيء في الطبيعة مؤلف من اشكال كروية وازوية (Cylinder) او قمية (Conical) . وبذلك وضع اسس المدرسة التكعيبية التي اشتهر من ايامها بيكاسو . وقد انتقد سورا اهتمامه بالوانه محاولاً ان يستحدث في عمله بنية الاشياء ، وبفض النظر من الناحية التي ينظر منها العالم ، وقد قال : اذا ما اعلى اللون كل زهانه وغناه ، يتم بذلك الشكل ويكتمل به .

وغالى كوغان في الزينة والتنسيق وانكشف على نفسه مقهراً الى البداية البعرية الاولى ، وقد اندفع في اتجاهه هذا اتقاداً حله على ترك امله ووطنه والايور الى البدايين الاول من سكان جزر تاهيتي والمركيزاس وقد كان غمراً بالالوان الى حد الغلظة ، يكره تقسيمها وتجزئتها (على الطريقة الانطباعية والواقية) ويختار من الطبيعة الوانها الصافية البهجة . فقد قال يشرح « بدءاً في الازولين : » ان مساحة متر من اللون الاخضر لبيدوا اكثر اخضراراً من مساحة سمتر واحد اذا كانت ترغيب في التبعير من اللون الاخضر . كيف تبدو لك تلك الشجرة ؟ أمي خضراء ؟ اذا استعمل اللون الاخضر ، اكثر الالوان التي تحملها على فورتك اخضراراً . وذلك النفل ؟ تبدو لك في طياته مسحة زرقاء ؟ لا عليك ، صوره بأكثر الالوان التي تستطيعها ازرقاقاً . »

وهكذا كان في فنه حياً قطع واسعة من الالوان يمتق بها الوحة ويرتبها ويؤلفها تأليفاً جليلاً رائعاً .



المسار - الفنان كوه ١٨٥٣ - ١٨٩٠

أما فان كوه فقد اندفع وراء الله أكثر من الشكل ، فاستخدم الألوان والمقروط والاشكال كلها في تحقيق غايته هذه ، فلم يحجم من تشويه وجهه ما اراد . في مواضع كثيرة مختلفة اذا كان عليه بذلك ان يبرر ما يحدث فيه الموضوع من شعور يرغب في نقله الى الآخرين . في الحقيقة ، وحركة واحدة وحده الشمس وقوعا وهي إحدى محاولاته في التعبير عن دوران الشمس ونمو الزرع واحدة من القوة والحياة الزاخرة المارة

وقد عاصره فان كوه ، وشعر وحسب هذه الكلمات التي قالها بنفسه : « انني ان صورت الشمس اردتها ان تكون في اللقطات شعوراً بالحركة والحياة والدوران ، واذا صورت شجرة ما اردتها ان تظهر فيه الشعور بقوة النمو والتطور » . وكان انشائها في واضحه عجايبا للمبال وحياتهم وللفلاحين ، وقد صورهم في لوحات كثيرة كما صور حقول القمح في وهج الشمس المحرق واشجار السرور وغيرها . وقد أضفى على صوره حركة وحرارة لا تراها عند غيره من الفنانين . وقد جعل النقد هؤلاء الفنانين وكثيراً غيرهم في مدرسة مامة أطلقوا عليها اسم « مدرسة الوحوش » (Les Fauves) ومنهم من يسميهم « بالتعبيريين » « وما بعد الانطباعيين » وما شابهها . هنالك مدارس ثانوية أخرى ليس لها بعد سوى تكتل أفرادها كما ان هنالك فنانيين آخرين لم اذكرهم في حديثي إما لأنهم من اتباع الانطباعية وقد شغلهم الحديث السابق - امثال ديباس ، بونينوار وغيرهما - او انهم يتنون الى القرن العشرين اكثر منهم الى القرن التاسع عشر ، وسيشغلهم الحديث القادم - امثال ماتيس ، وبونارد ، وروسو ، وبيكاسو .

واذا ما اردت ان اجل الفن في القرن التاسع عشر بكلمة واحدة ، اصفها كما وصف الملأ الاسلام بالتوحيد والمسيحية بالحب ، فلا أجد خيراً من كلمة - ثورة ...

عبر الرسم بأية

عشرة جنيات

بنم محمد صوفي كس



ولهذا فقد اضطرت المسكينة الى ان تضيف على المهنة التي
كانت تمارسها مهنة غسل الثياب، مهنة اخوى هي تربية
الاطفال .
عندما لم يتزوج . ولهذا فقد كانت
تربي في احدى العائلات .

ولم يكن هؤلاء الاطفال ما كنت اسببه لعمتي ام السعد من
متاعب . ولهذا كانت هي بداية الاحوال التي ذاقتها في سبيل
تربيته ، وشديدي على صراع الحياة .

فقد استطاعت عمتي اخيراً ان تضيف اسمي الى مجموعة
التلاميذ في احدى المدارس الاهلية التي كانت تضم اثنتان من
ابناء الناس الذين كانوا يتجندون دائماً امامي من اشياء كثيرة ،
اقتصدتها من دنياي . . اشياء كنت لا اعرف عنها الا انها مع
يقدمها لهم اناؤهم ، تتصل بالاكل والمشرب والملبس ، وضروب
اللب والتسلية في اوقات الفراغ .

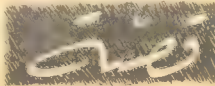
وكما كان انتظامي في المدرسة
يكلف عمتي جهداً جباراً من العمل . .
الذي كانت تستطعم بواسطته ان تدفع
لي نفقات الدراسة ، فقد كنت انالاً لآخر
اتكلف جداً كبيراً بالنسبة لما كنت

عندما رأيت امي لاول مرة . . كان ذلك في رجبها الذي
قدمته لي عمتي « ام السعد » . وهي تسكب كفايتي
الحلوية في اذني ، قائلة لي في صوت خافت حنون :
امك يا ورشاد . التي اسلمت امانة في يدي .
وأشد ازورك كد ، عليك صراع الحياة .
لقد فتحت امت عينيك على نور الحياة .
انتقلت هي فيها الى لقاء الله بعد ان . .
نبار الحى التي اجتاحت البلد في أيام .

وقد رأيت امي بعد ذلك مرات . . مرات عديدة في تلك
الصورة التي كانت تحتفظ بها عمتي في خزانة الثياب . ولكنني
اقول لك الحق . . لم أحس غوها في يوم من الايام بجل هذا
الحب المقدس العميق الذي كنت أكنه لعمتي ام السعد .

وعمتي ام السعد هذه . . هي الانسان الاول ، الحالف في
عمري . . او الكلمة الاولى التي تبتدى بها سطور حياتي . .
اذا حدثت لك صراحة ياسليبي عن
ايامي في الحياة .

فقد نشأت في مطلم صباي طفلاً لا تملك
مضياً ، شأن كل الاطفال الذين يستقبلون
الايام الاولى من حياتهم وهم ايتام .



أصغر مدية من شمس صباي .

كان لاني في المدرسة بحدود مئة كرونة شدي كروي هبة عني في خدمة البيوت وغسل الثياب .

فقد كانت تعرض هم فرصة للتسرع علي لا وضواحي
عدا ولم يقني شد الهم ، حتى قد كنت بعض حضور في
المدرسة ، بل لقد كتب اذهب بها كل صبح وان اشعر بشعور
الاحمال اسري يذهب الي مكان تقعد فيه بحسب كره علي حرية
اقتربا وابية حرية هي كره من الفقر والاشياء الي احدى
الطغف المتحطة ياسيدي ؟

انه كان يكسني اوبوع ضابط المدرسة تليذا على فداوة
حذائه او بقعة هم في قيصة لينظر هذا التليذ الي هو وسائر
التلاميذ في شي . من الفضول ، كانا يصبون على شخصي
مستولية هذا الامر الذي لا علاقة لي به سوى فهمهم اني وعني
مستولان من نظافة الانسج وادابهم ، ما . فقلنا ارضا ، لا
من دفعه دفن مستولي به في العيشة .
الطبعة التي نذكرها منها في هذا .

اسي لاني ياسيدي انك كروي من رفاة في اناسي
يشطروني في كل . حتى من مجر .
القول بلقوا في مكتبتي في اوحال .

منها صفحة الدرس الاخير التي كتب لي فيها مدوس اللغة الاجبية
كلمة - جيد او ممتاز -

ان سو . انقضى ياسيدي ، هذه المرض المزمع اسري رهي
طيلة اثم حسان كاجير موان مؤلدة . الاين في مقاديرهم على
بدياني وذن اعصاني الضيعة في اقدار الطاريق ككسا وفشت
في الحرب من قلائم المورود .

ولكن صرا . صرا ياسيدي قاة على يامي . ان كرويا
حري في المسترفة كانت تفرع في صدي نورة على هذه الهبة التي
كنت امش وتعد فوق حرمها في ايلول وصوبق والمدرسة

في ايلول كسا احدث عني ام "سعد" تعري عصاب الموهفة
في عرس ملاس الناس اين تهر تسجن انساني هم في حجرة
الوجدة الضيقة مع رائحة ادمع والمساخ . تطوى
نفس من مهانة النال هذا القرن من الحياة التي فرض علينا .

لانا - كما . همتي اكثر من مرة - لا نستطيع قط ان نزال من
حقوق في هذه الطبقة . الا هذا القدر الضئيل مما يشه عيشة
الانسان .

دم . ان كرويا حوت الذيلة كانت اسد شور بن جنبي
وهي تسمى عاين المرحل كل احد زلاشي يتبدرون اسو حباتي ،
وسبة عني التي تقاسي كثير من الوان العذاب حتى استطيع ان
أخذ حصي من التاميم واخلوس معهم في وصف واحد فلا احوم
من معة التاميم ، كما حرمت قلائ من نعمة الاونة والمأكل والمشرب
وتمس التي كان يرتع في سعادت ، ستر زلاشي الاخرى

انك لا تدرك ياسيدي . كم جاهدت المصاحب والاهوال
عندما بدأت اشق طريقي في الحياة اعزل من اسلعة الجحيم
الكاملة التي يزود بها افواذه ليشتموا بحقوقهم في الحياة .

قد اشعلت كتابا في صمغ اخذية . ثم بدأ في بحوث ادوية
الطب . البقل . ثم ساعد اناح محساسة
تحتن محمد . لات الرض السباني . وبين كل عمل
ولتحرر هذه الاعمال كنت اتصل بضعة ايام اعرف فيها
الامر . في ممدق فقط . ولكن عن طريق
صرا كلما نفدت البصر بين واحد منهم
او

وهكذا ياسيدي . عشت اياما طويلة مديدة من حياتي
المضنية . واسدأ تلم . شورا احسن ان بني وبين الحياة صراعا
هناك كل سجنني فيه هي دفن ايام العيق في اعوار نفسي ،
وتهدئة الزودة بين حيا صدي ، والتسلت مهداب الصهر الملل ،
حتى لم يبق لدي من قوس الصهر مرقع .

ففي ذات ليلة في ايامي شتاء هذا العام . لم تستطع همتي ان
تدبر له . ففان وقدة ما الم لها من ألم شديد في جانبها الايسر
اندي احدث لامة تشدد عليها يوما بعد يوم .

نعم في تلك ليلة التي لا انساعا ، حبيت . قالت لي
عني وهي تعني نظراتها في . مستطعة في اوس كبير .

« انه لا بد من عمن شي . ما . يا رشد . . . يخفف عني حدة
هذه الآلام التي تتكاد تقتلني . »

وقد ذكرت الك بریدی ، نبي كنت أحب عسقي ام
السعد حلاً مقدساً عبقاً لا ينافه حب شي . آخر في الحياة . وهذا
لما كادت تشرق شمس الصباح حتى حمت ما صحت حجرتنا الصيقة
من كل ما يمكن ان يسمى أثاثاً . وذهبت ، في رثي الاث
القديم . الذي سلمني بدله حثيثين انطلقت بها مسرعة الى اقرب
طبيب في جيفنا . وشرحته به . تشكره به عني . ثم انطعت
معاً الى المنزل . وقد أخذت نفسي تنوء من سرعة نوب
دقات قلبي . . .

وانتهى العذب من احض عتي . انتهى ياسيدي . ثم
رفع راسه الى اراج نذرتة الغالية من عيبه وهو يقول .
انما يحتاج الى عناية جراحية في الجبال ، حتى لا يتعرض
دمها للتشمع . . بسبب هذا الانتفاخ الذي يتجمع بجانب
القلب . . .

فكان له وال . مضطرب الانفاس : .
حتى تخفف عنها حدة هذه الآلام التي . . .
ولكنه وضع صاعته بكل هدوء في . . . وهو يقول
في بساطة .

— هذه مسألة بسيطة . . تكلفه . . .

ونصرو ياسيدي . عشرة حثيث . . .
باسية الي . . 9 تصور . عشرة حثيثات .

ان هذا الطبيب . . . الله كان يظن في شر الطاعون
فيعتقد اني احد الممرضين الذين يتجولون على الملل الكثر في سائر
الطرق ، او انه كان يفكر بمقابلة السعد . اصعب الجيوب المفتحة ،
والطيرب المتكفلة الذين لا يحسبون غايته امثالنا نحن صاهير
الشعب من الفقرو حرج و حزن ، وادسه كان جرأاً شرباً
يتخذ من مهنته الانسانية فرصة انتهازية ينهب بها ما لا يستحقه .

ولكن . لا . لا ياسيدي انه وي . من هذا ، اني انا
لخصي . سي . الخطي . لاني اعتقد اني من طبعة هؤلاء
الأدبيين الذين لهم الحق وحدهم باستدعاء الطبيب لمعالجة مرضهم
.. ولكن . لا . لا . انذا ياسيدي . ان هذا الطبيب لم
يتمكن يستحق مني اقل مما حدث له . انني حين بسط له
حالي السنية ، والاستعانة المادية التي لا يمكنني من دفع مبلغ

العشرة احتشبات ، سخر باستعطاي ورجاء عتي في مواسها . .
ورمى لي عشرين الفدين دمت بها اثت حقوتها ، وت دل حقيته
الحلوة واندا يحطو بنشر رعداً . . .

تصور ياسيدي . هذا الطبيب الذي يزدي للجمع بسطة
انسانية يتنق بها الناس من كل مكان . . . يستجده به ليدت
يد المساعدة . ويترك حب الناس اليك في انفس طحات عره
معلقاً بين الحساسة والموت يجبل رفيع جداً هو مروته الانسانية
الممدومة التي يستمد وحيا من خسته وطيمه وجشمه . . وتصور
شعوري المضطرب ، والاحاسيس التي كانت ترتبط . عدائي نحات ،
حين وجدت يدي تنفذه . . سرعة الى . . . كانت مادة بحوري
على الارض ، فانسرح حافه وهو يجتذب من الحارة والعمدة في
ظهوره .

تصور هذا ياسيدي القاضي ، ثم احكم علي يا راضي ضيوك
انت ، لا يا راضيهم مواد هذا القانون الذي قد يكون راساً في
التي يكسب الله واقع والأغراض . . .
احكم صورك ياسيدي فقط . . .
و عايشوا لاخطا . عرهم في الدنيا عشة
و

انني ياسيدي القاضي ، اضع حياتي رهينة في عنقك بهد حياة
.
في تيز الحى وامي في عسر لولاد
بري . بري . لان
المتهم يوبأ ضد امثلي في سائر
الظلم السيف الذبح الذي يبطق بالحلة ضد امثاله المضعفين

لقد قتلت ياسيدي ، لانني لم استطع ان اتركه يفرح وعتي
تمت رمي في حارة الي . . .

وتداعي المزمع
المرادة الطويلة
ثم صدر حكمكم في كانت قلائل ايضاً . . .
وكما سوف يصدر من دهم للمعدين في الارض نوب ترضى
بالموان . . .

ومنصور . . . محمد صديقي كبه

المجاهدون

في الليلة الفاتمة

للكون عبد السلام العجيلي

الرقعة - سوريا

ليك يا دامي القدا
إنا جعلنا الموعدا
للملقى حوض الردى
نحن كاة العرب ، بيت المقدس
نفديه في يوم القسا بالانفس
اصمع صهيل الخيل طسي الفرس
من فوقها الفرسان يطوون المدى
ليك يا دامي القدا
انا جعلنا الموعدا
للملقى حوض الردى
ابره فاطمين اثيره
نذر علينا ان تراه القوم
ضجت بوادينا بنا والقوم
ان تذهبي يا صبيحة الحق سدى
ليك يا دامي القدا
انا جعلنا الموعدا
للملقى حوض الردى
ودعت امي حين جزت المنفى
ان قدر الله ولم ارجع هنا
اسماء ، لا تبكي علي فانا
لد صنت امي الارض من كيد العدا
ليك يا دامي القدا
انا جعلنا الموعدا
للملقى حوض الردى

أيا نجمة في صفحة الاق وجمدا
تبث أساهها للثيوم ووجدما
سهرت على وعد، سراب من النى
فهل تبهين الليل ترجين وعدما
اريتي السنا يا أخت على شاعة
تطوف بثواها فتسمع خدما
وتشكو لها طول الايلي وهما
ووحشت في ظلة الليل بمدما
اذا سمعت يا أخت بددت الدجى
وتأ ولا فمع عندها
على ش... ذوب القبر توره
كنا... تلك الحيلة وردما
وأغنى على اهداب الشوق حالما
ورف فأذكي في الجوانح وقدها
فلا تمجي ليلى ان طال لبثه
فليك يبرها وقد بات عبدا
يذيب بائسا الدواب لونه
واحلامه الولى قاتل قدما
ولا ترقى منه حنانا فانه
ليسمع شكواته ويلح صدها
ولا تحمي لم نس لي عروضة
من النور اخشى ان نأربت فدها
أيا نجمة في صفحة الاق وجمدا
تبث أساهها للثيوم ووجدما

جريجور مندل

علم وريث فلسطين

٢٢

على تحقيق هذه الامنية ، ولكنه رأى ان المزيد من العلم قد يفتح لجريجور مجالاً في الحياة واسماً وعلاً يدرّ عليه الوفير من الربح . فلما بلغ الحادية عشرة من عمره ، بحث به والده الى مدرسة في مدينة تبعد ثلاثة عشر ميلاً عن قريته . وبعد عامين أحلقه بمدرسة أعلى منها موقبة ، مكث فيها حتى بلغ الثامنة عشرة .

ولكن حياته لم تخل من عقبات اعترضت سبيل تربيته . فقد اكتشف والده صعوبة تدبير المال الكافي لاداء نفقات تعليمه ولما وجد ان صيداً الفقاً معظم ما ادخره في اصلاح مزرعته . وجرى ان يتركه لقلبه درس في معهد ، على ان يرسل اليه شيئاً من المال . فلهذا سبب له جوعاً وضعت عليه ايام أعضاها .

وفي عام ١٨٤٨ - وكان جريجور في السادسة عشرة - اصيب والده بحدّات اصابة شديدة ، فشكّرت عظام صدره بسبب سقوط حذاء شجرة ضخم عليه فاضطر الى الالتجاء الى اراحة مؤثراً عدم العمل في ملاحته حذله . ولم يجد بداً من ان يبيع صيته لزواج ابنته مكتفياً بمأش شهري متواضع . فكان على مندل الصبي ان يجد في البحث عن عمل يكتسب منه ليطيلع اداء نفقات الدرس ، فاضطر الى تنظيم دروس خاصة لبعض الطلاب ، ولكن صحته لم تستطع احتمال صعب الدراسة والتدريس في آن ، وعاجله مرض كربه مدة من الزمان ، بيد انه استطاع ان يكافحه ويكافح الموت حتى يرى - وغادر مهده عام ١٨٤٠ .

ومن المندل ان يدرس الفلسفة عامين ، فلم يستطع تحقيق بنيت الا بموتة مالية سخيفة جادت له بها شقيقته الصغرى تريزا ، فقد تزلت له عن نصيبها في مزرعة الاسرة ، وتسعى لاشيا ان يرضى بأبها . الدراسة في المعهد الفلسفي . ولم ينس قط دينه هذا لشقيقته ، وقد رده لما حيا عبقاً دام يحتاج في صدره حتى نهاية عمره ، وردّه مصوغاً في قالب رعاية وعناية اسبغها على ابنائها الثلاثة .

ما يقال بمسح منا ان طفلاً يشبه أباه او أمه ، وان لون عينيه مماثل للون عيني والده ، او ان ذقنه كذقن والدته ، او انه قصير القامة كجده مثلاً . ومثل هذه الملاحظات تدلّ على أن التشكل يرى ان يضم صفات جسيدي يتوارثها الابن من أبيه ويورثها الجليل الحاضر للجيل القادم .

وقد كانت الوراثة موضوعاً اجتذب اهتمام رهاب غسري يدهي جريجور مندل ، وقد وقف حياته على دراستها حتى باتت جميع المعلومات التي نعرفها اليوم من هذه الموضحة . ولد جريجور جوهان مندل عام ١٨٢٢ من أب يدرس اسفلون مندل بتلك ضيقة في قرية . ولست أبوه يعمل في الجيش ، فاشترى سرحاً بعد ما فاد الى أرضه يعني بتحصين مزارعها . وشغل الأب بوجه خاص زراعة الداركة ، ومن ثم أخذ يقرأ النصارى في إستاتيه يتفقد غرسه ويشرف على غرسه ، ويعمل على تحسين انتاج شجره بان ينقل فرعاً جيداً من شجرة ثابتة الاصول الى شجرة اخرى ، وهي العملية التي يسمونها « التلطيح » . وكان الابن جريجور يصعب والده في مزارعه ، ويأبونه في عمله حتى انتقل حسب الزوج من أبيه اليه .

وكان في مدينة «برون» متدكاً للرهان ألحقت به حديقة ، فاستوى المدير جريجور مندل ، واستبدت به رغبة في الالتحاق به . وهي رغبة ظلت متصصة به حتى نهاية عمره .

التحق جريجور مندل في مستهل حياته بمدرسة قروية ، وكان ناظرها اساتذاً ذا كفاءة وان كان هذا أمراً غير مأروف في معاهد الريف . فحبب الناظر الى مندل مهمة مواصلة الدرس بعد التخرج في المدرسة ، وأبى ان يعود الى الحقل كسائر ابناء الفلاحين . ولما كانت امه تروم ان ترى ابنا رجلاً مرموقاً يطولون اليه في المحيحات ، مدت له يد الموتى ، وأبدته في رغبته تأنيباً مطلقاً . اما أبوه فكان يود ان يخاف لابنه مزرعة جيدة ، وقد عمل

وبعد ما تخرج مندل في المهد الفلسفي ، عاد الى الاشتغال بالتدريس الخاص ، فوقع فكرة الثانية فربسة للقاء ، وسلك موكب بعد ١٠ شهر الى ان يتهيأ الى عمل اخر ، اعلم ان يجب له دخلاً منتظماً وبمقتضىه من عب. التفكير في "زور" ، فسمى بطلب ، شجرة رجل له به معرفة والماء ، يذهب الاستاذ فرار وكان الاستاذ فرار قد نال قبل ذلك ربحاً من رشح شهاباً لانتخابات مدير في "برون" ليصبحوا اثنين ، ففقد اسم مندل ، وفي كانون من عام ١٨٦٣ التحق بالبر.

وكان خير العبدس يوما في برون مؤقلا من حتى كبره عده
احاث ، وكان كدة للعالم في المنطقة كما يؤمنه الطلاب كأنه
صحة يستغفر منه عذب العارف ولدت العلوم ، وهي منزل
في هذا المنك زها ، نصف قرن (بين عامي ١٨٤٣ و ١٨٨٤)
استغناء جلالة اب بشره في الملا كشوه الكبره الشل ، وان
كان التقدير انما لم يصبه الا بعد مائه

وفي عالم الاول انى اصداء في ا
دروساً خفلة ، وكان يرحى اوقات ا
للدر وفي البحث عن المادان ، ولم يكن
قد تلقى دروساً علمية صحيحة ولم يرد
كستانى شعور بالزهر والاعاءكة مستم
تريد معارفهم في علم السات على اماره

وفي عام ١٩١٥ كثر عدد الطلبة ، فشرع مدخل بتدريس اللغة اليونانية
أربع سنين ثم عين مدسراً في معهد عال يختص بتدريس اللغة اليونانية
والرياضيات نهراً ، فجنح ليليه في الصومعة ، وقد أصاب في مهنة
التدريس نجاحاً طويلاً ، وأخذ طلابه وزملائه من المدرسين حتى جاء
عام ١٩٢٥ فتقدم لامتحان المدارس العليا في التاريخ الطبيعي وعلم
الطباعة ليلفظوا له عتبة زهيدة لأن بقوه رفيعة عمره فأنظر لمدرسة
بعيداً عن النهر ، وسكن مساكناً منديل كانت جميعاً مستعقبة
تقديمه الذاتي ، وهذا الامتحان لا بدخه إلا الذي أفضاه بضم
سنتين في الجامعة ، فدرس في الامتحان وتبين من إجاباته أنه كان
في وسع أي صانع أن يعمل على الإجابة ، وقال المحتجون في
تقريرهم به بغير من الضروري الاعتقاد بأن مدخل غير كفء ،
لتدريس علم الضبعة في المعاهد المتوسطة

ولاربي في ان سخط مندل كان عظيماً ، ولكن جعلت تدريس
 طل بسو ويذهب وعاقبه الاب « ب » - وكان اذ ذلك مشرفاً
 على اسير - على الالتحاق بحكومة (هنا) مدة عامين لدراسة العلوم ،

وكان بين الحق والحق بركة (فيما) ليغور دواو القديمة .
وفي عام ١٨٥٢م فتحت مدرسة رون الجديدة ، وفي العام التالي
عاد مندلى الى رون وعين مدرسة لعلوم فيها . ومكث عضواً في
هيئة التدريس فيها اربعة عشر عاماً . زاد في اثنائها عدد الطلاب الى
مخالف طالب . وكانت هذه الفترة كذلك من اسعد اوقات
حياته واكثرها ثروة ونجاحاً .

ولا ريب في أن مندل ولد ليكون مدرسا وقد وصفه معاصروه بأنه رجل علمي موفق يستطيع أن يحلو لطلابه ما يشاء من النظريات متوسلا بأبسط أدوات المختبرات المدرسية .

وفي خلال هذه السنوات، أنجز أعماله العظيمة الخاصة بالوراثة،
وسمى مرة ثانية لاجتيا الامتحان أرمي المدرسين في جامعة فيينا،
ولكنه أخفق.

[illegible]

المرحوب على الورثة ، وكانت نتائجهم مشعبة لنتائجهم ، غير انهم جميعاً لم يفتروا الصبر والجلد ليحروا مثل ما أحروا من تحارب كسيرة العدد فتكسبه من ان يضع نظرية عامة الورثة . فقد كان مندل في هذا المختار اسبق الحليم . ويبدو ان انصرافه الى اجراء اعماقه عموماً طويلاً يدل على انه كان يتوقع نتائج له شأن بعيد .

وحاول العلماء الذين سقوا مندل في بحث الوراثة ان يدرسوا جميع خصائص الذكر والانثى وجميع خصائص النسل ويقابلوا بينها. وكانت النتائج التي حققوها من اجرائهم معقدة جداً حتى لمسرهم ان يلاحظوا على عدد لا يحصى من الخصائص وكل ما استطاع اعيانهم ان يلاحظوه هو ان نسل خصائص مؤقتة بالتساوي من خصائص الذكر وخصائص الانثى المأثري انتجا هذا النسل ، او ان صفات احد الوالدين تغطي على صفات الآخر .

وقد احرر مندل اول طفوله في هذا الحال بأن حصر عمله في روج واحد متقابل من الخصائص . . كالقصر والطول مثلاً،

وعلى أزواج كثيرة من مثل هذه الصفات المتمثلة في نباتات البازلاء الدائمة في حديقة الدم في يون لاستخدامها طماً ثلاثاً، فقد تبين أن ارتفاع النبات قد يبلغ ست أقدام وقد لا يتجاوز أحياناً ١٨ بوصة، ولاحظ أن الزهر قد يكون ذا لون خاص، أو قد يكون أبيض اللون، ورأى أن قرون البذور تحدد تكون قليلة التجمع أو كثيرتها، وأن البذور قد تكون صفراء اللون أو خضراء... وهكذا.

وكانت تجارب مندل على البازلاء تقتصر على تشریح الزهرة الصغيرة ونزلة أعضاء التذكير منها بواسطة مآلق خاص. و وضع مسادة لتلقيح مستقاة من زهرة أخرى على عضو الأنثى بمرجون، صنع من شعر الحبل. ثم يربط الزهر في حقيفة صغيرة من الورق حتى يكون بمنأى من الحشرات. وتجمع الحبوب الناجمة من هذا التلقيح وتزرع في الربيع التالي. وقد استمر مندل يجري تجاربه هذه بمتابعة كبيرة على بضع مئات من الزهر.

لما النتيجة التي حققها، فهي النتيجة التي نألفها اليوم جيداً. فلما تلقح نباتين أحدهما طويل والآخر قصير، كان ارتفاع النبات الناتج من هذا اللقاح مادلاً لارتفاع النبات الطويل. وتبين مندل أنه لا يميز كثيراً سواء أحدهما من النباتين أو الآخر قصير، وتبين كذلك أن النباتات الناتجة من زهر أبيض بذور تحمل صفراً، هي زهر أبيض بذور تحمل صفراً، وهكذا مضى مندل يواصل بحثه صفة بعد صفة، وخاصة بعد خاصة حتى أتى عليها جميعاً. ووصف هذه النتائج قائلاً أن بعض الصفات (كالطول مثلاً) كسبت سيطرة هيمنة، بينما بعض الصفات الحاملة الأخرى (كالقصر مثلاً) فقدت تأثيرها. وتلك هي النتيجة الرئيسية الأولى التي أسماط مندل التمام عنها وهي أن الصفات المسيطرة تظهر جميعها في النسل، أما الصفات الحاملة فتتلاشى تماماً. ويسمى هذا أحياناً بقانون مندل الأول. وعبارة النبات كمية الإنسان تماماً. فهي مؤلفة من أجيال كثيرة، جيل أول يختلف جيل ثانياً وثالثاً وهكذا.

وبعد ما أجرى مندل تجاربه على الجيل الثاني من النبات، رأى أن يجربها على الجيل الثالث فأخذ نباتاً طويلاً ناثلاً - كما أسلفنا الوصف - من لقاح نبات طويل وآخر قصير، وزرعه ثم لقمه تلقياً ذاتياً، وازدهار البازلاء. تلقح نفسها بنفسها عادة لأن حبوب اللقاح من أعضاء التذكير تهوي على عضو الأنثى في الزهرة عينها، فتم عملية التلقيح. ولما زومت الحبوب الناجمة من هذه العملية،

تبنت نباتات طويلة وأخرى قصيرة. فأحصى عددها وتبين أن ٧٨٧ منها من النباتات الطويلة، وأن ٢٧٧ من القصيرة، أي بنسبة تكاد تبلغ ٣ إلى واحد. واستطاع أن يصل إلى هذه النسبة عينها من تجربة أزواج أخرى.

ومن ثم يقال أننا إذا بدأنا بنبات قصير وآخر طويل، فإن الجيل الثاني سيكون كله طويلاً، لأن الطول يسيطر على القصر وينسقه، أما في الجيل الثالث، فانتنا نحصل على نبات واحد قصير مقابل كل ثلاثة نباتات طويلة. وهذا هو قانون مندل الثاني. ويجدر بنا هنا أن نلاحظ أنه على الرغم من اختفاء الصفات الحاملة (كالقصر مثلاً) في الجيل الثاني، فإنها تعود إلى الظهور في الجيل الثالث بنسبة الربع.

وواصل مندل سلسلة واحدة أخرى من التجارب على البازلاء، فمالح صفتين بدلاً من صفة واحدة. أي أنه تلقح نباتاً طويلاً ذا زهرة ملونة بنبات قصير أبيض الزهر، فكانت النسل الناتج من النبات طويلاً ملوناً لأن البياض والقصر من الخصائص الحاملة التي تختفي في الجيل الثاني.

وقد في الجيل الثالث ثلثو أربعة اصناف من النباتات، ٩٠ : ٣٠ ملونة طويلة ٣ : ١ ملونة قصيرة ٣ : ١ بيضاء. طويلة ٣ : ١ أحمر ٣ : ١ أبيض. ويلاحظ أن المجموع الكلي للنباتات ١٠٠ : ١٠٠ وأن المجموع الكلي للنباتات القصيرة ١٠ : ١ والنسبة هنا هي ١ : ٣.

كذلك يبلغ المجموع الكلي للنباتات ذي الزهر الملون ١٢ والنبات ذي الزهر الأبيض ٣ والنسبة هنا كذلك ١ : ٣. فقد انتقلت كل من الصفتين إلى الأجيال الثالثة مستقلة عن الأخرى.

ووصف مندل نتائجه في محاضرتين ألقاهما في جميعه بورن لدراسة العلوم الطبيعية في شهر فبراير وعامس من عام ١٨٦٥ ونشرتا في الكتاب السنوي للجمعية في العام التالي. وأرسل هذا الكتاب إلى الجليات الأخرى جريباً على المؤلف، غير أن كشفه لم تمل ما هي أهل له من عناية لأن دافرون العالم الكبير كان قد نشر كتابه «اصل الكائنات» في عام ١٨٥٩ وشغل العلماء في العالم بتناقشه طويل فلم ينموا بكتشفات مندل البعيدة الأثر. وكان هذا مدعاة لسط مندل، علاوة على أنه حاول تطبيق نتائج كشفه على نباتات أخرى فافتح فيها آراء مما زاد به حنقاً وسخطاً.

ذلك أنه أجرى تجاربه على الذول، فكانت نتائجه مشابهة لنتائج البازلاء، لأن النباتين متشابهان. ورأى مندل، كما يفعل

معظم العلماء الكبار عادة - انه يجب عليه اجراء نتائج على نبات مختلف كل الاختلاف ، فنتج نباتاً ذا زهر صغير ، مما جعل مندل يصادف عتاء كبيراً في تلتيقه ، غير أنه استطاع بعد مشقة - معرضاً بصره للخطر - ان ينتج في بعض الحالات ، ولما اراد ان يفحص الجيل الثالث ، تبين له ان نسبة ٣ : ١ لم تصدق ، فقد كانت معظم النباتات مشابهة للجيل السابق لها . وبعد ثلاثين عاماً اكتشف العلماء تعليل هذه الظاهرة . فلم تثبت تلك التجربة ان قانون مندل غير صحيح وانما كان اخفاؤه في هذه الحالة بينها يرجع الى طبيعة هذا النبات الشاذة وقدرته على ان ينتج حبوباً بدون حاجة الى تلقيح . وقواعد الوراثة العادية لا تنطبق على امثال هذه الحبوب ، غير ان مندل لم يستطع ان يدرك هذا الامر عندما تخبر نباتاً من النباتات القليلة التي يتسدر تطبيق هذا القانون عليها . وهذه آية على ان المصادفة قد توجه البحث الى الخراج او الى اخفاق .

وفي يوم ٣٠ مارس ١٨٦٨ ، انتخب جريجور مندل رئيساً للدير ، وهو منصب كبير الشأن وأرغب سكان برون عن ارتياحهم الكبير الى هذا الاختيار ، لانه يرون على نشاط وكفاءة مندل . ولكنه أسف أشد اسف على انه اضطر الى ترك مهمة تدريس الطبيعة في المدرسة الحديثة ، وجعل منه المنصب حرفة . ونفذ ، ونهض بأعبائه موقناً حتى منته . ولما عين رئيساً للدير ، ظن اول الامر ان عمله في الدير سيحله ، على النبات ولكنه تبين ان الأمر ليس كذلك . فلم يجد متسعاً من الوقت يضيئه في اتجاهه النباتية .

فعاد بالتدريج الى الفلاحة اليسيرة التي ألفها منذ حداثة ، وجعل يجري بعض التجارب القليلة كأن يلقح زهرة بلقاح اخرى او يطعم شجرة من اشجار الفاكهة بجذع من شجرة اخرى . وقصده معظم زراع الفاكهة في المنطقة يطيلون مشورته ومبرته . ويقال ان عدداً كبيراً من اشجار الدير لا يزال يحمل الى الآن لوحات رصاص عليها الحرفان الاولان من اسم مندل « ج . م » وكان يربط مندل هذه اللوحات الى جميع الاشجار التي يطعمها .

وشرع كذلك يربي النحل ، فزود منطقة واسعة من الارض الجرداء بالزهر والشجر ليعي للنحل غذاء كافياً . ولم يكن يعنى بجمع النحل وحده ، بل كان يعمل عدا ذلك على تدوين ملاحظات عن ملكة النحل وتناسله ونشاطه في الخلايا الكثيرة التي يملكها . ولعله كان يأمل ان يكتشف حقائق جديدة عن الوراثة عند النحل . ثم راح يدرس احوال الجوع ، واخذ يدون ملاحظات دقيقة

تتعلق بجميع الحقائق المتصلة به . وفي عام ١٨٧٠ ، اجتاحت مدينة برون عاصفة هوجاء ، انزلت بها خسارة فادحة ، وقلما تصف بالمدينة مثل هذه الربيع النائية . وقد كتب مندل عنها تقريراً مبهياً ضمنه تكهنت عجيبة عن طبيعة العاصفة واصحابها .

وكان مندل في جميع السنوات التي امضاها رئيساً للدير مضيافاً كرمياً ، يسخر على عدد كبير من طلابه القدماء ، وسواهم من اصدقائه الذين كانوا يقفون لزيارته . وكان يفتق دخله في مساعدة الآخرين ، وكان يسر كثيراً اذ يزور ابنا ، شقيقه ، وبيته القديم حتى وافته منيته عام ١٨٨٩ في اليوم السادس من شهر يناير منه .

وظل العمل الكبير الذي انجزه جريجور مندل عن النباتات نسباً منسياً من الجميع مدة طويلة باستثناء اصدقائه في برون . وفي مارس من عام ١٩٠٠ ظهر بحث في المانيا كتبه عالم نباتي يدعى هوجو دي فري ضمنه بعض تجارب اجراها على النباتات ، وأشار فيها الى انه بعد حق بعض نتائج نين ان مندل نشر عامه النتائج عنها منذ اربع وثلاثين سنة مضت . وبعد شهر واحد ظهر بحث آخر في المانيا ، من رابر كورتر أشار فيه اشارة اخرى الى العجبة التي كانت ، وتبع ذلك رسالة ثالثة كتبها فيينا : اعلم مندل تخرج الى النور ثانية .

في عام ١٩٠٠ ، الحياة يمولون الى حد كبير في انجائهم . ابن مندل ، ولعل في المثل التالي ، يوضح هذا القمع لماذا الحياة لانه القلاء الرئيسي في بلدان شتى . وكل رودة في علة القمع في مساحة معينة من الارض ، وكل تحسين في نوع القمع له تأثير مباشر في حياة الملايين من الناس . وقد تبين ان بعض انواع القمع له قابلية لمقاومة الامراض التي تكتابه غير ان هذا الصنف ينمو على عيادات ضيقة هزيلة جداً ، وتستطيع الرياح بسهولة ان تقصد المحصول . وهناك انواع اخرى من القمع ذات عيادات متينة غير ان السنبلة منها لا تحتوي الا على عدد قليل من حبات القمع . وبتطبيق قوانين الوراثة استطاع علماء النباتات ان ينتجوا انواعاً جديدة من القمع لها جميع الصفات الجيدة المطلوبة ، فأمكن الحصول الآن على حبوب كبيرة الحجم تحتوي السنبلة منها على عدد كبير ، ولها مقدرة كبيرة على مقاومة الامراض ، وتتمتع على عيادات قوية ، ولها صفات جيدة في صنع الخبز .

وجميع الممارف الواسعة التي حصلناها عن الوراثة انفسا تنهض على اساس المعلومات التي كسبها جريجور جوهان مندل .

القاهرة ودمع فلسطين

من مفارقة التاريخ

بضم يوسف جورج عزرا



نور امام الموهبة : ابي نواس

ضيق ذات اليد ورمت به بين يدي المطسرين والباعة يجبي قوت يومه . فنشأ هذا الفتى وقد اكتسب كثيراً من الفاسد التي كانت تقوم عليها الدنيا في تلك الايام . وما أسرع ما يكتسب الطفل الرذائل حين يكون محروماً من مطلق الاب وحنان الام .

ولقد كثرت زكري مارك وأبى آخر في تليل عجوب ابي نواس . فلو اننا جئنا في هذه الدنيا مسطرون لالوان من الطبايع فيه ، السود والياض والحلاوة والمراوة والجد والمجون . ونحن لا نعيش حين نشأ ، وإنما نموت حين نشأ . قوانين الوجود . فابو نواس لم يمت حين نشأ ، بل مات حين نشأ . فلو اننا جئنا في هذه الدنيا مسطرون لالوان من الطبايع فيه ، السود والياض والحلاوة والمراوة والجد والمجون . ونحن لا نعيش حين نشأ ، وإنما نموت حين نشأ . قوانين الوجود . فابو نواس لم يمت حين نشأ ، بل مات حين نشأ . فلو اننا جئنا في هذه الدنيا مسطرون لالوان من الطبايع فيه ، السود والياض والحلاوة والمراوة والجد والمجون . ونحن لا نعيش حين نشأ ، وإنما نموت حين نشأ . قوانين الوجود . فابو نواس لم يمت حين نشأ ، بل مات حين نشأ .

ويعبدوا لنا من خلال خيولنا انه قد نعم بجمان الحمرة اكرم ما نعم بجمان والديع وهذا الشور هو الذي دمه الى القول :
تطرب مرهبي ولي برى فكر خ مصيف وامي العنب
ترضني درها وتلفني بلبها والهجير ياتب
وهذان البيتان بالإضافة الى جمال مناهما يقومان في صورة شروية جذابة دفعت - مع غيرها من صورة - بعض النقاد الى

امام الخلالة ! ومن اجدر بهذا اللقب من ابن هاني .
نشأ امامنا نشأة اخلاقية دينية ، ولكنه انقلب فجأة على الدين والاخلاق فهاذا طراً له يا ترى حتى اصبح بعد ان كانت له طعمه الى جعله اماماً دينياً ، اماماً للخلافة والتب .
لقد وضع النواسي الحجر الاساسي في سفارة ابليس في هذا العالم . يمزو البعض نقطة التحول في حياة شاعرنا الى زمان هاجر اليها والتي كانت يومذاك لا تريد ان يكون لها نصيب من النواز والحواس . فبما ابو نواس بشعره ، فلو اننا جئنا في هذه الدنيا مسطرون لالوان من الطبايع فيه ، السود والياض والحلاوة والمراوة والجد والمجون . ونحن لا نعيش حين نشأ ، وإنما نموت حين نشأ . قوانين الوجود . فابو نواس لم يمت حين نشأ ، بل مات حين نشأ . فلو اننا جئنا في هذه الدنيا مسطرون لالوان من الطبايع فيه ، السود والياض والحلاوة والمراوة والجد والمجون . ونحن لا نعيش حين نشأ ، وإنما نموت حين نشأ . قوانين الوجود . فابو نواس لم يمت حين نشأ ، بل مات حين نشأ .

وهكذا زى بان خيبة الامل كانت اول عامل في تكوين شخصية شاعرنا . كما ان الآلام والمتاعب التي صادفته في مسهل حياته جعلت منه هذا الشاعر المشتهر بكل شيء . فقد كان - كما يقال - ابن لا يوين لم يبقوا ، وقد مات ابوه وهو طفل فادخلته امه المدرسة حيث اكتب على دراسة القرآن والمالوم الدينية فبينما ، ولكنه ما لبث ان اغرسته امه في المدرسة بسبب

تفضيل صوره على صور ابن الرومي . والحقيقة التي يقوها الجميع ان ابا نواس حين يصف لذاته ترك امام مصور عالمي يارح يحيد مزج التراكيب والتشابه ويصور منها صوراً كلامية يميز عن ربحها اكبر الرسامين وقد فاقت صور ابي نواس صور جميع شعراء عصره وما ذلك الا لانه كان يتركها بلا اطار ولا توش اما تراه يصور لنسا حياته العاطية تصويراً سينمائياً متحرراً حين يقول :

طربت الى الصبح والمرهر وشرب للدانة الاكبر
ما كنت عني ليلاب الفوى وخضت عوداً من المنكر
واقبلت اسحب ذيل الجوى ن وابشي ان التصب في شرر
وكذلك اما تقرر صورة الفكاهة المرة حين تراه يصف

احد البغلاء بقوله :
رايت (الناضل) مكنتها بنسائي الخبز والصمكة
فليسب طرفه لها واقي قادمك وبكى
فانا حين حافت له باقي صامام ضحكنا
وكذلك هذه الصورة التي يصف لنا فيها صورة تميز عن ربحها الريشة مها بانث براقة حامليها قد :
ما ذلت اسفل روح الدن في لطف واستن
حتى اذبت ولي روحان في حصد والد

ولم تكن قد لاحظتم معي بان صور ابي نواس في هذه الصورة الصريحة والجرأة وان كانت جرأته في تصويره تحت تأثير السكر الى وقاحة اما لا
لاعتقاده بان قاطع الطريق الذي يفاجئ الانسان خيم من السباح الذي يبدو في مسرح الرهبان ومن هنا بات شعر ابي نواس وثيقة منقطعة النظير في ادبنا العربي في الصراحة والجرأة وحسن التصوير فانه لم يحل بنفسه خطورة او داعيته تروة او شهوة الا وكشف عنها القناع وترجم بها في شعره .

وعلى ذكر اللذة نرى بان هنالك حقيقة اخرى يجب ان نذكرها من ابي نواس وهي ان هذا الشاعر قد اوفى بوعده عطية على اعطى الهة فاستمر كما قالس وانه ممة الزهد وقد كانت فلسفته في اللذة نفس فلسفة عمر الحيام فكلاهما يعتقد ويحارب بانه (اذا كان الموت واقعاً لنا بالمصادفة اجدرنا بالاسراع في اقتناص لذات الحياة والاندفاع في سبل التوايه والمرح) . لذلك نستطيع ان نقول ان ابا نواس جعل اللذة غايته في الحياة وآمن ايضاً حثيثاً بان الغاية تهر الوسيلة فسار على هذه القاعدة طول حياته .

والآن بعد كل ما رأيناه من لمحات عسيرة عن حياة هذا المتهتك نأتي الى اسطورة توبته التي اصعبها المؤرخون الصاقاً به في آخر

حياته على الرغم من انه انكرها حين قال مخاطباً الذين تصوره بترك الخمر بعدما تقدمت به السن :
قالوا : كبرت ، فقلت : ما كبرت بدي عن ان تدبر الى فني بالكس

وحين اوصى قبيل وفاته :
لي طير بالا لا تخفرا لي الفهر الا بغيرسل
خلال الناس بين الكروم ولا تدناني من السبل
للي اسبح في حفرتي اذا صرحت شجة الابرسل

ولكن مع ذلك فقد اختلف الكتاب كثيراً في مسألة زهد ابي نواس وهم يحاولون ان يحلوا غلامس هذه التوبة المزعومة .

ومما يعتمد عليه الذين يرون ان ابا نواس عاش متشككاً ومات متشككاً الايات التي ذكرناها اعلاه . الا ان الذين يؤيدون توبته لم يحروا من ابيات كثيرة وردت في باب الزهد من ديوانه كقوله :

دب في الفناء سفلاً وطولاً واراني اموت مضواً قدضوا
موت شرب عدة فسي ونذكرت طامعة الله نجوا
ليس من راحة مضت في الا فمكتني بربها في جزوا
لفف فسي على ليل وايا م سلكتهن لئسا ففوا
كل الاساءة يسار ب فصعقنا عنا المي وطوا
يا رب حسن في التراب وثيق ويا رب رأي في التراب وثيق
يا رب رأي في التراب وثيق واذن نسي في المحسل وثيق
وذن نسي في المحسل وثيق وذن نسي في المحسل وثيق
له عن عدو في ثياب صديق

وحياة في يومه . اس هو امر عنه شهور بقوله (اننا اذا ساكننا في الحياة اي طريق فلانسا نضل فبحر اناين به متطلعين الى سارك طريق غيره) ولكنها توبة عجز - ان صح التعبير - على انه نفسه كان اول من شعر بان توبته غير صادقة فقال :
وما حجي يوم الحساب اذا شهدت علي بما جنيت بدي

ملاحظات مع الزهاوي

يقول يونكاربه « اذا تضاربت الآراء في انسان فتأكد شهادة على انه عظيم » . ولعل هذا القول لا ينطبق قائم الانطباق كما ينطبق على الشاعر العراقي جميل صدي الزهاوي (١٨٦٣ - ١٩٣٦) . فقد تضاربت الآراء كثيراً في هذا الرجل فمن قائل انه شاعر وفيلسوف ليس الا . وهناك من يقول انه شاعر وفيلسوف معاً . ثم يأتي ايضاً من يزعم انه ليس بشاعر ولا بفيلسوف بل هو عالم او حكيم . وهكذا استطاع الزهاوي ان يثبت اركان عظمتة على هذا الاختلاف والتباين في الآراء . اما رأيي الخاص - وقد اكون على صواب - فهو ان الزهاوي



جميل صديقي الزهاوي

بصره وصرقة الثاقبين الى كل - حوايه ورأى صورة شعة لا تناسب مع تلك الصورة الحيلة السحرية التي كان قد رسم في حياته لحيته امثل من عالم امثل فكأن ان رست فيه خيمة الامل شعوراً ثورياً سريعاً انفس الى ثورة فكرية حارقة حملت منه ذلك الزهاوي امي يارحى على الله .

والناتر العسكري تنصب عليه في اعاب الاحيان بطورية اجتماعية معروفة في بطورية الرقص « The Pendulum Theory » وهي تنحصر في ان كل شيء - قدر حوايه روى ان كل ما يقع عليه بصره قد الحرف عن مكانه الى جهة اليسار مثلاً كرقص الساعة فلا يثبت ان يصدم البية على ان يرجع ذلك الرقص الى مكانه في الوسط وهكذا يجمع قواه ويستجمع بشرته ثم يثبت ذلك الرقص ويسجده سحبة واحدة الى اليمين

فيلسوف وليس بشاعر . وهو لم يتخذ الشعر الاوسية بلوغ غايت التي هي الفلسفة . بل له لم ينظم الشعر الا لانه اراد ان يقدح او يرضي والده الشاعر . وقد يعترض علي البعض في ان الزهاوي لم يقيم لنفسه مذهباً فلسفياً واضحاً فتطبع ان ترسم حدوده كما رسم حدود المذاهب الفلسفية المذمومة او يبين ادعاءه كما زعم النقاد . فلسفة افلاطون او ارسطو او غيرها . ولغولاء المتطرفين اقول ان الاختلاف بيني وبينكم لن يعدو حدود تعريف الفيلسوف . فقد اختلفت الاقلام كثيراً في تعريف هذه الكلمة ولكن اكبرها اتفق في ان الفيلسوف هو الشخص الذي يبحث عن الحق دائماً فاذا ما اعتدى اليه او الى ما ظنه الحق لادم بين ذلك وبين حياته اليومية . وهذا هو رأي الاستاذ طه بك حسين وكثير من الادباء غيره . لذلك بناء على هذا التعريف ارى اننا نستطيع ان نطلق كلمة فيلسوف على الاستاذ جميل صديقي الزهاوي فهو انسان قضى عمره كله باحثاً عن الحق ولازم بين ما اعتدى اليه وبين حياته اليومية ولم يحد من ذلك قيد انملة . وهو وان لم يقدح مذهباً فلسفياً معيناً الا انه جال بين اغلب المذاهب الفلسفية بالمسوفة واتخذ منهم ، شاعر ، شاعر ، شاعر . وم

فلسفة معينة متناقضة تشتمل على كل عقيدة من عقائده . وتنازع في هادئ استاذ الزهاوي الى انفسه . في لا يتركها مذهباً فلسفياً معيناً الا ان شاعر فلسفته المتنازعين .

وغيرها لا يستطيع ان ينكر توجهه احد .

وقد يعجب البعض عندما يروني أجرد الزهاوي من شاعريته التي اشتهر بها اكثر من اشتهاره بالفلسفة . ولكن هذا هو الواقع فالزهاوي ليس شاعر ، اذ ان الشاعر يعتمد على العاطفة والخيال قبل العقل والزهاوي كان لا يبالى بمواظف او الخيال اند . ومن يقرأ شعره لا يرى فيه الاحقاد تعتمد على العقل قبل اي شيء . ولم يستطيع ان يكسبها بولاج من الروح الشاعرية على الرغم من محارلاته المديدة فهو والحالة هذه ناضج وليس شاعر . وهو نفسه يكاد يعترف بذلك : ولقد كنت احدثني احدث وتكررت الخيال شعراً .

والزهاوي في نطجه يحذ القارى الى عوالم كثيرة لا عددها ولا حصر فهو معكرو صميم استيعاب ان يتوالت كثيراً بعاشقة الموهبي فظهر اثر ذلك واضحاً في كل بيت وقصيدة من منظوماته . وقد عاش الزهاوي كاستاذ في عصر تنصارع فيه قوى الشر والخير ويتطاحن فيه الشك واليقين ويتنازع فيه القديم والحديث نادرعاً لا يهتبان منه الا ببداهة ثانية . نضر الزهاوي

من ادب الربيع

بطل يعرف يعقوب مكوفي
ابن خزانة كتب الجمع العلمي العراقي

محاسنه ومباهجه فهو يطالع علينا بثمره البسام
وعماره الفواح وشذاه المطر وعبقه المسكى

الأنفاس . فهو يشيع نغمه بوسم وواسم ، بوسم الورود والمطور
والاخوان والياافر والزئبق والياسمين ، ثم بوسم الصيف الذي
يتضح ما ازهر واثر وهكذا يطالع علينا بجماة جديدة وعيش
جديد نرزع فيه ما أقبل الشتاء ومسا اجلب من ارض رويت
فذلك جله الشراء والادبا وشماره بوصمه نظراً وثراً اقالوا فيه
القائدات المحجلات والمقاتلات المطولات ويرعوا في وصفه كل البراءة
فوصفوا هواءه ونوره وزهره وشمسه وثراً

ورذاذه ونفاه ومروجه وياياه الجلية واخضره من ذل
ما جا ، في قول لي الحسن محمد بن علي بن سفيان :
يوم انك وجه التبال
غلم التيام على اخضرار سائه
وكعب الزين حلال تحامه شكهنا
وقعبات فيسه قدود مصوره
وملا على الاشجار قطار سائها
يحكى قباب زمرد قد كانت
الورد يسل كل نور طالع
وحكى بياض الطامع في كافوره
فكاننا الدنيا عروس اقلت
فاشرب مصفرة التيمير سلاله

وقال ابو القمح البستي :

يوم له فضل على الايام
فالبرق ينفق مثل قلب حاتم
وكان وجه الارض غدا شيم
فاطلب ليوبك ارضا من الف
وجه الخبيب منظرأ مسترقا

وقال الامير ابو الفضل الميكاني :

سار الربيع على الشتاء سواردا
وبكت له عين البيا بادم
وبدت ثغابها خلال رياضها
ترمي بثولي حمرة وسواد

فكانما بنت الشتاء توجعت
نقنو حمرا خضاب نعيمه

وقال ايضا :

تسوخ لنا كف الربيع حداثا
وفيون الوار الشاقي قد سكنت

و في حديقته يحرق يقول :

عبر من يوم ربي
دوس يروض قوم كلي حبه
فاذا بدت قضبان ريمان به

وقال في الفرجس :

اهل يفرجس روض
وفيه مفسى حفي
نصيفه ان نسقت لا

وقال كذلك :

وما ضئيل الانس بربا كفرجس
فاخذاه احداني شبر وساقه

وقال البحرني الشاعر المشهور :

الاهل الحلف من رذل الوري لتعاود
عليه يحسن من الور حمانه
دعج الصافي في حدود الخرافه
ومن نكمت مصفرة كافر افاد
د بر تبر من توام واسلاد
بكل جديد الماء فآورد
تأيب مختار طيبا فقادد

اصابه كسفة الاولاد
وسواد كسوة لباس حداد

كسفة عتيق بين سمك لأكي
خدد حذارى تاملت نواحي

روضا غدا انسان عين الرياح
فيه لكاس الاتس اي مسام
حيث يثل سلال الاصداغ

من حسن وبيت
عسى نصيب رطبت
برسه
خود ر حوب

يوم لبذر الثور من خالغ البذر
كفامة سنان في غلاله الخضر

وكان ازديش بن بك يصف الورد ويقول :- هو د ر ايش
وياقوت احمر على كراسي زبرجد اخضر وتوسعه شذور من ذهب
اصفر لورقة الخمر ونفحات السمار فاخذ محمد بن عبد الله بن طاهر فقال :

زمرد دسعه شذر من الذهب
من حمرة مزة كللمر في الهب

وقال علي بن ابيهم الشاعر المشهور :

حسن الرياض وصوت الطائر افرد
ودامت الروح في الواجا الجدد
الى القرباب والاشماء والكبد
او ماما جفن حيين من الولد
وسيره من يد موصولة يد
الا تينت فيسه ذلة الجعد
تثنى القلوب من الاصاب وآكد
لا حذب الله الا من يذبسه

وما قاله ابو فراس الحمداني في هذا الصدد :

ويوم جلا فيه الربيع رياضه
فصول الجبلنار مطلة

وما قيل في الربيع نثرًا يوم حمّاه كالخزّ الادكن وارضه
كالدجاج الاخضر - يوم حسن الشائل ممت الخليل - سيجع الهواء
موتق الارجا - يوم تبسم عنه الربيع وتوجع عنه الروض المريع
يوم كان حمّاه ماتم أنيابكم وارضه عروس تتجلى - يوم غاب عنه
وهوى كاطلم سمده واعتلى .

وما قاله ابو الفتح كشاجم في امطار الربيع :

وروض من صنع الارض راض كما رضي الصديق عن الصديق
إذا ما انطر لسده صوحًا انم له الضئفة في النور
يمر الريح في شتحات ريحًا كأن فراه من ملك
كأن الطل منشراً عليه بمايا الدمع في القصد المشوق
كأن غصونه لميت رحيقًا فالت مثل شراب الرحيق
كأن شائق النمان فيه حشرة شقائق من طيق
بذسكركي بنفسه غايبا صنع اللعلم في الحد الرقيق

وقال كذلك :

فيث اناسا مؤذنا بالخض
دنبا فخلتاه دون الارض تمشدا بطارقه والارض
النسا الى الف بر يقضي ثم ما كاللؤلؤ
فالارض تجلى باليات المص
من سون احرى ورد غش مثل
واقحوان كالجسين المحض
مثل البيوت رتلت للفض

وقال البصري ايضا يصف طيور :

جئت من طيل طاف طافها
جئت من النمن صاحبه
فوق قفني من غمر رتقي
تدل طانرها نشوان من طرب
والنمن من هزه مطيه نشوانا

اما صفي الدين الحلي فوصفه للربيع مشهور معلوم يتردد على
الافواه كلها ذكر الربيع او جاء . ووجهه فهو يقول فيه :

ورد الريح فرحاً ، وورده
فصل اذا فخر الزمان قاه
والنمن قد كسي اللؤلؤ بدما
والورد في اهل النور كأنه
فانقر لفرجه الشهي كأنه

ولاحظ مقالنا هذا برزت ايجادها في وصف الربيع المرحوم
احمد شوقي امير الشعر وثابتة الشعراء حيث يقول :

آذاذ اقبل قم بنا يا صاح
ليست لقمده الخيال فشيا
يش للنادل من لراحت رجي
ورؤوس مثاور خفتن لزة
والورد في مرد النور منتج
صاحي للواكب في الرياض عجب
حي الربيع حديقة الارواح
فرعن في كنف له وبتاج
أنا وأنا من ثور اقشاح
فيجائن عوامر الارواح
متقابل يتي على الشاح
دون الزهور بشوكة وسلاح

بأس

رنت عينا

وجف قلبي

جماعي كلاله ...

عنب .. وألوف من الأرياح

تمر ملهى ..

لأمة البشر شر ..

خذ مني كميتي

وجسد الفكر جبا وسلاماً ...

هز ... وسفيرة ...

ألكي الى صواي

بين صرحي ذباك الوادي البعيد ...

هل عليّ اليالي ترى

ملأت صهوة النهار

و ث ملاوي الذي

أكون ..

هي ..

جسدي هذا وروحي صدا

تلس من التدني ... للقاءك ..

آن أن أكون ...

ربما ملهى

هذا قليل من كثير في وصف الربيع وامطاره وازهاره ورياحيه
حيث احبب الشعراء كثيرا فقالوا فيه غرر القصائد والمنظومات ما
لا ينسم الجبال لسردها والياتان بكتيها بل اكنفتنا بهذه الحطافات
البارقة بما يناسب الشعر والمكان مع العلم بان شعر الطبيعة قد
يؤلف منه دواوين عديدة لثبات الشعراء الذين اثرت فيهم . واسم
الطبيعة وجمالها وسحرها وقتتها ايام الربيع التي تجدد الحياة وتتمش
الارواح وتحيي في النفوس روح التلق في الدنيا ومظاهرها الخلابة .

يوسف يعقوب مسكوني

بضداد

استولوا على « يا هيام » و « جدين » و أقام ودحاً من الزمن في حيفا ، حيث ابلت فرقة بلاء حسناً في المناورات هناك . و ثم ... كان يوم « شفا عرو » حين أرسل في طلبهم لجندة سكان القرية وكانت قد حاجتاً قوة كبيرة . وهناك أصابته رصاصة في رجله . وفتح الجريح عينيه ونظر حوله . وطال عليه الامل ليدرك انه طريح في مستشفى غريب ، وان ليس حوله من اخوانه المتطوعين احد . و اقربت منه احدى الممرضات « كيف تشر الآن ؟ » . و بعد فترة طويلة سأل « اين انا . » - « انت في مستشفى مدينة (س) » . و أكد مضى على وجودي هنا . - « هذا هو اليوم الثالث . »

و حرك رجله ووافلت من شفتيه صرخة ألم . انه لا يتمكن من تحريكها . و عندها بدأ يذكو ، فقد كان يجانبه احد المتطوعين الفلسطينيين ، و هو فتي حدث السن لا يتجاوز الثامنة عشرة من العمر ، و اسمه مفيد جابر . و قد توطلت بينهما صداقة غريبة ، فقد كان الفتى يؤمن به ، و يسبب بجرحه بالجندية ، و جراحة قلبه ، و استخفافه بالوت ، و مهارته بإطلاق النار ، و اصابة الهدف .

و يذكر ان الفتى رمى بقنبلة محرقة نحو اصوات المهاجرين من جهة اليمن ولكن القنبلة لم تفجر فقد كان مقفولاً قاسداً ، و ليس هذا بالمستغرب فالذين جاهدوا في طهرا و غيرها قد خهرو معالجة

القتال الناصدة المفعول . اما الفتى فبدلاً من ذلك فقد تلقى رصاصة من مدفع رشاش سقط من جرابه على الارض ، فنفخ اليه بقلقه بين ذراعيه ، و اذا برصاصة اخرى تصيبه هو في رجله تهاوى هو الآخر من اثرها على الارض . و كان هذا آخره ، يذكره .

و غف عدد كبير من سكان المدينة لزيارة المناضل العراقي وكم يومه به غيراً و يشئ لو يحظى بتقديم ما قد يحتاج اليه من خدمة ، ولكن لم يكن يسمح الا لفر قليل ان يزوره و لدقائق مدودات ، و كان التسم قد بدأ يتشر في جسمه ، و ما كان اشد استياء الاطباء . عندما عرفوا ان الرصاصة كانت من نوع الدلم .

واجتمع ثلاثة من الاطباء لتقرير ما يجب عمله . و قال اكثهم تقاضياً . هنالك ١ ٪ من الاسم

هوام اليسري شاباً متبع العقل ، متوقد العاطفة ، و بالإضافة الى هذا خلاصاً لقضية العرب بشر المسؤولية التي عليها عليه ثقافته و عاطفته نحو قومه . و كان ما يجربه ويرمي فؤاده قضية فلسطين ، فكما حاولت السياسة الناشئة ان تعرض على صوب فلسطين ما ليس في طاقة اذل خلق ان يحمله اخذ النديمي في عرقه حاراً واهضه ان يجد قومه العرب قد بلغ بهم الضعف والاستخذاء . للدرجة تبلغ معها نوايا الاستمرار و الصهيونية المتوردة ان يخرجهم من ديارهم و تحتل بلادهم دون ذنب اقترفوه او قد صدر عنهم . و كان ذلك صام سنة ١٩٣٦ حين وقف في حشد كبير من المتظاهرين في بندا و قال لهم :

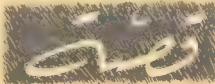
ايها الناس ، خفوا لجندة اخوانكم عرب فلسطين . و انتم لم تسمروا الى ذلك فاي ذل سيلحق بالعرب كوهل اذل من ان يخرج قومه من ديارهم صاغرين ليهوا اوطانهم لاشات دخيلة . انجدوهم ايها الاخوان فانا اخاف عليكم عاقبة لا ينفق معها الندم ولا يجدي عض البان .

و بعد ايام كان همام اليسري في جبال الخليل يبلي بلاء مشكوراً ولا يزال زملاؤه ورجال فصيله يذكرون بأسه وشدته شكيته وصاد كل الى دياره بعد ان اعلنت الحرب العظمى الثانية ، و اوقفنا البعث في قرارات فلسطين . و لكن هماماً ما ان مهم بقوار

هيئة الاسم المتحدة بتقسيم فلسطين حتى عاد الدم ينجلي في عروق ، و قد كاد يقضي هماً و غيظاً ، و عاد و وقف امام المتظاهرين في بندا قائلاً .

« ايها الناس . لن يجدي غير النور والنار ، فاسرعوا لتلبية النداء حتى لا يصدق عليكم ما قاله الخليفة علي في يوم الانتاب : فواهباً من جد هؤلاء ، يا بلطيم ، و فشاكم من حاكم - فواحرنا عليكم - حين صرتم فرضاً يرمي يناف عليكم ولا تتهونون بميضي الله و ترضون . و استبدل همام بكلمة « قبحاً لكم » و احسرتا عليكم .

و كان نصيبه في هذه المرة في الثال من فلسطين . و ما كان شد سروره ان يجد بعضاً من زملائه و اخوانه الاولين يلبون دعوة الجهاد للمرة الثانية . و قد قدر له ان يكون مع المناضلين الذين



في حياته . وتور قطع وجهه فهو ماتت على كل حال .

ومرت ثلاثة ايام والمريض يتأرجح بين الموت والحياة ، يقضي اكثر ساعات يومه في غيبوبة من تأنيب « الاليم » الذي كان يشغله .

وفي صبيحة اليوم الخامس عوفد بجنازة الطبيب العربي الشاب ، ولم يكن قد مر على علم حمام بقطع رجله الا ساعة من الزمن ، وكان رغم بحوله الشديد ، ورغم مسا قلاه من الام مروية ثابت العزيمة يبدو في تقاطيع وجهه امى عريق ولكنه امى متكبر . وقال الطبيب . « اني والحق يقال اريد ان اهنك على مقاومة جسك لقد وهبك الله حياة جديدة . وتتم لنفسه « ليتيت » في المعركة .

واجاب الطبيب « يجب الا نقول هذا فالمرء يعيش باصغريه ومن يملك اصغرين مثل اصغريك بإمكانه ان يجا بها ليس في الارض فصب بل في الشواقي » . « اشكرك على تمكك » .

وخيل للطبيب الشاب ان اطيافاً جارية تصارع في وجه المناضل للشاحب واحب ان يقول شيئاً شبيهاً جديراً بكبر نفس هذا الرجل ، شيئاً يدخل تعزية حقيقية على نفسه الماتة ، ولكنه لم يبتدأ الى شيء . وسار يتم دورته ، شارد الفكر ، حزين النفس . وما ان خرج الطبيب حتى دخلت احدى الممرضات وقالت .

هنالك آلمة ترف في مقابلتك - « لتفضل »

ودخلت الفتاة وجته بصوت منخفض ، وخالها مرتبة ، لا تملك ان تفرح في وجهها انكره ، وخالها مرتبة ، لا تملك ان تفرح في وجهها انكره ، وغرمت همته القدعية ، ونفض عن نفسه حزنه الشديد ، لا تملك ان تفرح في وجهها انكره ، وسهلاً بك يا آلمة . يودي لو افكر ان اقدم الشكر للاتي لمسما ابداه سكان بلدكم الكرية فخري من الطيف وشارة الشمور . واجابت الفتاة « نعم اولى منك يا سيدي بتقديم الشكر ، لو كان الشكر يجدي . فتضحياتكم هي اعظم واكثر من ان يكافئها كلام الشكر والتقدير . اما اننا فقد ارسلنا اخي عفيف لزيارتك والسؤال من صحتك » . ولمت مينا حمام اليسرى « آلمت اذن اخت عفيف » - « نعم » .

ونظرو في مينيها ، فرأى فيها صراحة واخلاصاً ورواة لا يذكر انه واما في ميني اي فتاة - كانتا كبيرتين طافيتين تمسكان بوضوح ودقة ما يحول في خاطرها وما ينطبع في نفسها - « واين عفيف الآن » .

- عفيف ، انه في مستشفى « الاليم » . اظن انك علمت انه قد اصيب برصاصة كادت تقضي عليه ، فلم يكن بينهما وبين القلب اكثر من مليتين . لقد بقي تحت الحطوكل هذه الايام .

وقطع اليوم طائناً الطبيب عنه قائلاً : لقد كان دائماً يسأل منك ، وقد خابرة المستشفى هنا فهاضتنا الى مكانك . كيف تشرم الآن ؟ - « بخير » اشكرك .

اما الفتاة فكانت تردد في نفسها : اي شوم فياض ، واي نفس كبيرة ، تستغره لأبني من عاصمة العراق ليداهم عن بلدنا الجريح ، ويضحي بهذا الذي ليس بعده من تضحية .

وتكررت زيارة الفتاة ، ونسج خيالها من المناضل العراقي ابي صور الرجولة الحققة ، والوطنية الصادقة . فهو جبار لا يستسلم للصية التي تزلت به ، وهو مع كل هذا لطيف هادي ، شكور لاية خدمة تقسم له بها كانت بسيطة ، يمر من شكره هذا بلجته الرعاية الحية ، ثم هو يكتب حماسه الذي لم يطفئه ما حل به من مصاب ، كما وانه لا يشيد بوطنيته ، واما كانت تقلت منه جل قصيرة متقطعة ، ان هي الا اعمى عما يضطرم في نفسه . قال : « كنت اريد ان اموت في ميدان الشرف » وحفظت كلماته باطرافه وكثيراً في مذكرتها .

هي فقد كانت ككل سكان بلدنا المكروب ، مؤمنة بحق الجهاد ، تشرم بواجبها في المساهمة فيا يخفف الرزم عن بلدنا . وكانت تلك فترة من الفترات التي اشترقت فيها نفسها في شغلها ، وبها انما انتهت الحمية والبلية ان ليس هنالك اجل . في طائر بالمسادة الكاملة والكبرى هو ما تقده وما تؤمن به وما تعمل له ، فان هو الا مثاليته التي نسجتها قد وجدتها عجيبة في شخصه .

كانت تقرب منه كما تقرب من هيكل تمبد له فيه ، وكان قلبها سيذاً بما يستمر فيه ، ومن وجه ، اما هو فلم يكن في يومه ما يستحق العيش الا حين يراها تسمير غمده ، فيخفق قلبه لها ، ويتشقى لو يكون هنالك باقة من اذل تسع له ان يأخذ يدها الصغيرة في يده ويقول لها انها حلم جميل اشرق في حياته في فتاة اظلمت الدنيا في وجهه . كل ينظر اليها كما الى زهرة بضا . نقيه تهرها انبل العواطف الانسانية وتجميل حسانتها مطرة عيقة . ولكنه لم يكن ليسمح لكل هذا ان يجري على شفتيه بهر يعتد ان عواطفه المضطربة ستقلق راحة هذا الملاك الجليل وتذب نفسه ، واخيراً وجد ان افضل ما يقوله لها « وقلك الله » .

ثم هو يرى في الفتاة شيئاً من روح اخيه الموثبة ومن سذاجته الخلوة ومن سرعة تليته للذواغ النبيلة . واذا بكل هذا يبرد

فيوجه في قلبه الحاسم بعد ان كادت الظلمة والياس تنالان منه وهو طويح في المستشفى بعيد عن الامل والحلان ، فاقد لرجله ، يسمع اخبار النور الصبريني وقد رم في ديد ياسين وطهريا وحيقا ، يتناهر قاصر عن ان يسمع بصفاء من العدل ، نعم كل هذه كانت اشباحا سوداء تحوم حوله وتأتص مضجعه ، وكان يردد هذه الاشباح طيف اعانة الحرب مع ريلام من سنة لاسف ، وعندها يشرق تلك القاعة وترتفع معه ، ويبدو كل ما عمل لاحله حيلة اخرى .

وليته كان يدري ان القاعة هي ايضا عرضة لحالات من اليأس والامل ، ومن الظلم والاشراق ، وانها كانت تجلس الساعات الطويلة تدفد الدمع السخين الى ما حل بقومها واقاربها ووطنها ، ثم تسم اشجار النهر احيانا فتدخّل على قلبها اشراقا وادلا . وتضاعف يأس القاعة عندها نزلت الكوارث تباها ، وطال الادل على تحقيق الوعد ، حتى كاد هذا اليأس ان يزدها بالخدمة البسيطة التي تقوم بها مع زميلاتها .

وكانت هي تجدي في قاعة المستشفى سببا من الاول تتلاق به ، وبعثا من الاطمئنان تاجبا اليه ، فهي ما تكاد تغط ارض فلسطين وتستعرض الجرحى حتى تلاودها الثقة ويادوها التمدد ، تكرامها جميل . فهؤلاء ثلاثة من اجل الائم . بعض من الجرحى وقد اصيبوا في شدة عذر ، وهؤلاء من الجرحى في شدة عذر ، الطيش الذي يفره العذرة وسافر والقتال العنيف . اصبوا في حيفا . وقد سألهم يومذاك : «لستم سلاحكم» .

فاجابوا احدهم وكان قد فقد عينه : لقد حطمتنا اسلحانا ياآنسة عندها شعرتا اننا ستفقدنه .

وهؤلاء اربعة من رجال طهريا . واحدهم قائد فصيل ، لقد حدثنا من وقتهم الباسلة في السوق وكيف خسروا الحركة لنفاد الشهوة ، ولمددهم الضئيل الاموال .

وهم كان يوم الهجوم على عرب الصبيح : ومع المستشفى بالقنا . والاطفال الذين تكبروا برجالهم . وكان اشدها من نفسها عندما دخل احد العربان وقال لشيخ الصبيح : «كان مصابا بجروح في رجله - الموض بسلامتك» . وذهل الشيخ «ون توفي من اهلي يارجل» . - «اخواتك الثلاثة» . ورفع الشيخ عقاله وقال : «لخدمه اسي شرفني بقتلهم ولم يذني بسببهم» .

كانت امثال هذه الواقف وكثير غيرها تجلها تدفق حاسا واجانا وامعة ارا رجال الروية . وجاء يوم كانت فيه نوبتها لتوزيع المشاء على المرضى . وسارت نحو المناضل العراقي وكانت

يذاها واجبتين فعلى لا تشطيع مقاومة هيئه الغائلتين ، وعندما اقتربت منه سالها . - «ما اخبار اليوم ؟» .

واجابت دون ان تنظر اليه : «لقد سقطت حيفا» . وردد : «ماذا تقولين ، وهل حيفا علبه من الكروتون لتشاوي في مثل هذا الطرف الضعيف ؟» .

واحات برأس «هكذا يريد المسؤولون» . واجاب : «تدلين لي الان متغائل اكثر من اي وقت آخر» .

واحت «ان احسدك على مثل هذا التدؤل ان احسدك وانت ترى سبيل الفأ من السكان يركون بيوتهم المامرة ومتاجرهم المكسدة ، وبقي متغائل» . - وضحك : «هذه اول مرة ادرك تشكيلين فيها جمدة» .

«طبعا» . لان حيفا هي البحر الذي كنا نصب فيه دماسانا وجهودنا - «لا تجزمي فستيسيد كل امري» . ماله .

«ارائيت من هذا كل الثقة» .

وهزت كتفها كن لا يصدق . «ان شاء الله» ثم لمات . «بها» . «تقول ان لا يزال بين الدرب انك فاكه في انك ابطار» . «فانور في عينها كان فيه اعتراف صريح» . «في عذرم في نفسها» . «الى هذا الحد تؤمنين في» .

«لست هي الا اعتراف الذي صدر عنها فبان الاضطراب» . «مع ربح» . «لقد عفت لنجدتها بتغير الكلام» . «لست تدلين ان بين العرب اسود لتهاب الموت» . وانت

تلمين انهم جميعا يقدون ارواحهم ، ويتأهبون لنجدتها في الوقت المناسب ، يجب الا تقندي الثقة بالعرب . فالككل ساهر على جمدة

فلسطين النويضة . الا تقنين برجال العرب ، والشعوب العربية» . وكان هذا بمثابة تأنيب لطيف ، جعلها تحجب كليله مذنب

«نعم» . ليس الذنب ذنب الشعوب العربية ، ولكن الذنب ذنبا نحن عرب فلسطين . فنحن المسؤولون عن كثير مما نقاسيه الان .

وانا ما قلت هذا الا لان سقوط حيفا هو صدمة عنيفة صغفت بكثير من تقننا واجهنا . . ولكن الا تأكل» .

وشرع يأكل ، ولكنه لم يجد بنظراته هنا . وعندما ناولته كوب الماء ، ولست يدها يديها احست بدبيب في قلبها لم تألفه من قبل .

وعندما صادت الى البيت ، كانت تسير في طريق وهو بين الجبال . ووقت تأمل المرج العظم والجبال الخضراء المشكبة بحلة الريم ، والماء الزرقاء التي تبسم لحضرة الربيع ، واحست

و رجع قلبه يتدبر مع رجع افقك واسم حلال الفوب ،
وروعة اربع ، تدفقت لسوع الى عيبه . وكنا رأيت لطيف
الرب - الرب ابنى تلمت منهم في دروس الشربيع يسبحون
ابديا في ذك عظيم وكلهم موبخ ساخط على الاستبداد لارض
الطبيعة ، ورئت بمن غم خلا سكن فلسطين حبيبة لثمل واحد
القروي ولتمتد ، رأتهم جميعا يسبون على وجرهم في بلاد غدا
ثم امار وصصية ان تحمل هي وقومها وسكان بلاد عن اوطان
العزير واسيار الحبيبة وينتشوا غربا ، مبدؤا ليحل محالهم هولاء
الغزاة السفاهون ، اي عرف يقر هذا الظلم ، وي شرمه نسيح
مثل هذه المدون . ولكن انا . لماذا يحزن ان يحزن مثل
هذا . . . الذي سيصير دمل هولاء الجرمين حقاً ، ذلك لانهم
- اي قوه الرب - وادعون مساكين ولا يزال قسم وافر منهم
ساح فقير . لا . لا . فقروهم لم يرض هذا اعدل خليفة
واحدة . لقد قوا ، وودعهم باهم عليه من فقر وسداحة . ان الذي
رمى بهم في هذه الحفرة هي السياسة العائشة
التي قد تمهم طرقتهم قد خفقوا حربة

على هذا كانت تفكر هذه الفتاة
 الوراشي يشرف على التلال والزهاد ، وصوت
 هبة الام المتحدة ، من يكون صيقل
 هبة الام ، ان نحن قلوبنا عامرة
 والديان ، وهذه الروح والسهول ، وه
 حبيب ، ندعو وهي في دهرنا صدقة ، ونحن في قلبنا مخلوص
 وابتدع السوء ، هي من عينها ، ولكننا هتت قطعت من
 قائلة : "سينجوت ليرتكونا هكذا ، يسمع اخوات العرب بكل
 ، نحن بنا ، ولا تحزن قلوبهم لنجدتنا ، اذن سلام على العروبة
 وتذكرت المصان الخرجي في المستنقى ، واشترقت نفسها
 ، عده ، ثقلت القاعة الكبرى ، تارة واحدة ، ولكن فيها من
 كل ، قطار عري مش ، وفي تلك الليلة هده ، اهتت اعصاب كل
 ، في سقوف حيفا ، كانت هي مطمئة واقفة ، تذكر قاعة المستنقى
 ان هي الاض من البر ، منها باعن والشجاعة .

وفي إحدى الليالي، وكان نور القمر يستع من موائد قاعة
الاستقبال تسرب الزخم إلى أفسان همام اليسرى بنينا هو يرقب
مداعبة الشمام للاشجار الحيطية بالمستشفى . وحلم انه كان يحمي
مقاربه في السجون ، وكانت هي حالته معه وقد بد وجهه شاحبا
في صر القمر ، وكان الهوا المظن يعبث شعره الاسود بالملس،

بالا اكتيك اني احمر رمه شديد عدم تمسكي مو السبر مع
 هذه الجوش موه ندية اى مناد احمر اهدس ، والذي في اوقت
 رمسه قد تمسكي من روية وحرك حبيب ، وعييت الد ادين ،
 وشمره الاسود الابع اي احسد ، صان اخر من المير يسي
 عدان يوك ويحلوا بعديت ، وطفئت قنى لايود ، احدهم بهم
 وكسها رمعه لم تعد من نصبي ، وهذا فدرجوك راعف من
 تدكومي كما اسفقت حويجا اذكوبيي كلسا رنت الجوش
 المربية تذلل من تحت اقوس العصر اذكوبيي كلها سمعت ادري
 الطائرت التي قد تم في سم ، لذلك في طريقه اني اذكوبيي
 يا عاف في سانة العصر ، وست ادبي اني اسحق ، تدكوبيي في
 مثل هذا الموقف ذي عاقلة صدرت عي ، ولكن في احدث ان
 تدكوبيي في غمرة كل ، هو قمع وحيل ، فلما عرفت الا في حد
 ابل المواقف الالهيه ، وشده اشده لا وعظمة

واذا كان المناضل الذي سيقطر بيمانك حرايا ، فاعني به
 عذبة لفة لاجلي ان ان الذي اتبع في عفة دالة ، عذبة لفة
 صوت انزعج عني به لاجلي ان
 ويسمح للخيال ان يصيب به لان لم يعد له
 يا عاف ، قد سمع موه شارحت
 - يمكن ان قد دفع رحله وعنده قال هم قايده
 قد خافته هو لا خفي فلسطين ، اي
 عرفت بواسطتك عظمة الحب وروحه
 هذه بها تلتقوا حوى في الحب ، وكانها بيت رفيق بين حبي
 بل قول هذا بيت تنامي صفحة من تربية ذلك ، صفحة حبها
 الانسكاب دانية شائكة

وهذا فتشكرك صلاتي من تحمل الله فجر هذا اليوم ونجته
 عه حبيب تنوحه الحربة والاستقالة سوسل كتيبي هذا
 اس عني الذي تلاقي من فلسطين يدهر مكان اذكوبيي
 عاف قد ندم انك ترى المؤمر
 وفي الصباح عندما جاء ابن عمه ليودعه ، وليأخذ منه الكتاب
 الذي وعده به قبل به هم منسار حتى اكته ، وكان في عيبه
 حجة وحول ، ثم .. كتاب عني اسمه دون وك

حضرة الأنتة الفاضلة عفاف جابر المحترمة :
 تحية واحتراماً ، افتتم مناسبة سفر ابن عمي الى فلسطين لاجله
 كتابي هذا ، ويأتي الأول ، اعتمد ايضاً عن عام تمسكي من
 تدبير شكويك شكيب ، وذلك لان سعري حاد ، مستعجلاً بوميل

نه الى كدت ولا ازال حويصاً على ان ابر لك عن عميق شكوي
 ونفذه بك بذينة لت وحة الاسقام من اهله ، وعذابة بالعين
 حر كن به ، وشهد زكري ، وحقق انه ليكن ، واهالي العرب حبيبا .
 ، فلسطين حبيبة ، في هي سود العرب حبيبا تدبر نحوها
 مؤجزة عذبة احمر به فلسطين احمرية ، واقفاكس ذخرا لاطلق
 صحتي تبحس ندرتني ، و صبح نامكان ان اراك السيرة
 اني تسير في على صفة حيلة وبين مزارع الجبل ، في اهيل كل
 يوم ، و بعد راحه الى صبيكس الثقة في ، وسأذكر دائما عطفاك
 واهن مسكن ، وادخر عذبة تدكرى سيد يقواس .

واذا كرت في اسطار اليوم اسدي ستد فيه عرب فلسطين
 حقوة به تحقق فوق بلاد فلسطين اعلام الحربة ولحدوال الام .
 ان اكون في اسطار كل هذا زحزح لكن حبيبا ، عالما لامل على
 البحر اندي يرحي صخر كن في خدمة الوطن المقدس .

الخلاص : همام البصري
 ورفعت عاف عسارو الضابط العراقي ، وكانت عينها
 جذوة .. من الوحدة والام الشديد

عذبة .. تتاه على نحو آخر نحو بلام واما
 في عسار .. حدة ونطرت عاف من البذرة دوات
 ان .. كرت تاديب ، دائما ، ولكنك ردا .
 .. كما يفر المرء من مقبرة مضمرة ..
 ان .. حدة والنحين

انصافرة التي تحدث عن الوحشة والخرن والوحدة في وجه ابن عمه
 عذبة .. لاشك به انه امر مقدسة

وسأت اعانة وكريم هو الآن ، وهو لا يدري ، الذي
 عذبة لان تجرب مكنه ، آه .. همام انه يجارب ، في نفسه
 كجود وندوة همام قد فقد شيئا غنيا او لاصح انه وجد
 شيء غير مكنه به وقفة انصافين عليه من يجدها ليبتغظه .
 ولعل الفتاة فهمت ما يريد ان يقول الضابط العراقي فأجابته
 " نبي ان سم ده في فلسطين ، وقصة لرحله قد سب كل كل هذه " .
 واحب ، ضابط المرقية ، نعمه .. جهاد وحمي الجهاد هما
 اللذان خلقا هماما الجديد .

وعندما ارى الضابط العراقي الى مقدمه احسن انه مر عن
 سلسلة ذهبية اولها في المراق وآخرها في فلسطين .

نحوي فعوار فلسطين

أشداد تعالج اللغة العربية القديمة وضوابطها وقودها ،
الى العصر الذي نعيش فيه ، ان دل على شيء ، فضياع
شخصيتنا وقر الإنتاج في ديارنا وانعدام النبوغ بين صفوفنا اذ انه
من المستحيل في افق اللغة ان يرسخ اصل او تنهض قاعدة من البداية
الى النهاية ، وان ارتبطت لغة الصرخة بمنتجها الانتباهي الاصلاح من قيود
وحدود ، فذلك دليل على ركود مصيره الى الفناء ، شأنه في ذلك شأن
الجسم الحي الذي يموت اذا امتنع عليه الفناء . وتعددت اسباب التوالد .
فن الحقائق الثابتة في عالم اللغة ، ان القواعد التي يشرعها
الفتويون في امه ، ويطرحها ابناء تلك الامة ، مقالة للميار الصحيح
للكتابية والحطابة ، لا تظهر الى الوجود الا بعد ان تبدأ احوال
اللغة وتستقر اوضاعها على نحو معين ، ولا يستطع للمشروع هذا
الاستقرار الا من الالسنه التي تدور عليها تلك اللغة . وعلى هذا
فماست وظيفة المسرح العربي هي الحلق والاشكال . من كانت
والاقراء ، وكل محاولة تهدف الى الخروج على هذا المفهوم تلقى
ابداً نصيبها الحظ من الفشل والخذلان^(١) .

اما لغتنا العربية الحالية ، فهي لغة
مماجم قبل ان تكون لغة أئمة ، وهو
السبب الذي مهد لبس الشقة بين كلامنا
وكتابتنا . فقد حرصنا على التشكك بقواعد
وقيود لغوية اقربها فقاء اللغة وعلاؤها
قبل عدة قرون لضرورة اقتضتها اوضاع
العصر آنذاك ، حيث جملوا من هذه

القيود القنوية التي تحتها ظروف سياسية او اجتماعية معينة ،
ليس من الحظ ان تخضع لها لغة عصر آخر تخفي فيه وطأة
تلك الظروف بالرة . ومسح وضوح هذا المنطق وظفرو
بتأييد غالبية مفكرى العصر وعلائه ، فما زال ثمة فريق من
المثمنين الذين لا يتحرجون من انكار هذه الحقائق ، فيفتقون في
طريق كل محاولة اجتهادية تهدف الى اصلاح العربية وتوسيع شؤنها .
اما ان لغتنا بحاجة الى اصلاح ، فهذا امر بدهى على من سكاره الا
من اغفلت اللغة بصره ودهس التعصب بعيت برجساحة عقله
لأنه لا تخلم صفة التصور على لغتنا جزافاً ، بل تتحققنا من احقاقها
عن مجاراة روح العصر ، وانقائها الى عجزها عن مواكبة مطالب
الحياة .
١ - من ساء هذا الرأي ساء الاستاذ عبد الرزاق السهري باشا في
محاضرة القاها بالمجمع الفكري اخيراً ، وكذلك الاستاذ المازني في مقال له
بجدة أخبار اليوم المصرية ، فضلاً عن استاد الدواقي المريح الذي ينجل
في الفشل المتكرر لمحاولات اللجان الفوقية في هذا المضمار .

العلوم والفنون الحديثة ، فضلاً عن اجتماع سائر العيوب والنقصان
في صلبها . وسنحاول فيما يلي الايام ببعض النقصان والعيوب التي
تبرز دعوات المتأدين باصلاح اللغة العربية وتبديدها .

١ - فمن أبرز مظاهر حيوية اللغة وسلامتها ، كونها لغة
كتابية وكلام في آن واحد . ولكن المواطن العربي ليس اختفاء
هذه الظاهرة من لغته ، فهو يكتب بغير ما يتكلم به . وفي ثنايا
البحث عن اسباب امتناع قواعد لغتي الكلام والكتابة في معنا
الحالية ، نلص قصور العربية الفصحى من «وفاة مطالب الفنون
والعلوم الحديثة» .

٢ - وقد نوهنا فيما سبق بان القيود تفرض على اللغة اضمحورات
تحتها ظروف معينة ، وعلى هذا يتعمق تقييد هذه القواعد والضوابط
بمامل الزمن . ولكننا ذهنا من هذه الحقيقة ، فطلت لغتنا تخضع بنفس
القيود والضوابط التي تحتها ظروف قرون خلت ولم يبق لها اثر ما في
هذا العصر ، ومن هذه النقلة بالذات اصبحت صفة الجلود بلغتنا الحالية .

٣ - ونتيجة لحضوع لغتنا لهذه القيود
التي استودعها ظروف ، قست في
ثنايا التاريخ ، صار المواطن العربي يفهم
ويسكد في سبيل هذا الفهم لكي يقرأ
قراءة صحيحة ، على عكس اثناء سائر
العلوم الذين يتقرون لكي يفهموا شيئاً
صحيحاً ، وفي هذا الوضع اشتد ضيق العربي
الفاضل بمالي الاستاذ عبد العزيز فحجي

باش فقال كلمته المأثورة « ليس لدى المسلمين وغيرهم من اهل البلاد
العربية وقت فائض يصرفونه في حل اللامس » .

٤ - وبغفل هذه اللبنة التي تحتها قواعد ، اصطلحوا الى
استعمال الحركات بدل الحروف المصورة وفيها - اي في احوالنا -
ما فيها من العيوب الفنية التي تضيع معة الطباعة التي تضيق
بمصلحة الجمع بين الاشكال والحروف ، وسائر العيوب الصحية
التي تؤذي النظر وتنبه ، اذ تقصره على التنقل بين ثلاثة خطوط
متوازية في قراءة الجملة الواحدة .

٥ - اننا ما زلنا نلاحظ في نلم لغتنا من اللبنة ما يجارى الكدر الذي
صابه في نلم اقلية اجنبية . فمرد هذا فيما نضد ، الى الامور التقنية التي
تخضع لها كل كلمة ، دون ان غضبنا انكاراً او تسهينا عولنا . وحيث
الدين يبنون هذه الامور ويشمون بها بدقة لا يسلون من المشقة والاساءة .
فهي تضرهم . وهم يسبل تشهير عن انكارهم واختلاجات امامهم - الى
ان يشكروا مرتين ، مرة ليدركوا الاحساس الى الحاجة ادراكاً عميقاً

مشكلة اللغة العربية

تَسْمِيَةُ الْوَفْدِ

من ملحة عن فلسطين

انسي زجس سادو
انسي سوسنة - قد
لوحتي الشس سودا
تلك اتوايي من الط
نور الرمان لاله
قلت لانا طور : هذا ال
ثمت عن ثعلبه ، فأتراك
جاء في الليل حبيبي
كان خذاه كاسلا
بطنه كالعاج ، من ثغ
مد يناه الى ك
فذا الاحشاء ، من حفا
اشبهت مني - على جد
جلست في الرقي بعد ال
اناسور ، تمام ثلثا
قد براني مرض الح
ياظاء العقل من حر
من رأى منكن من أه
ليثي في بيت خو
صرة المر حبيبي
شقاء سلكة القر
كله مشهيات
هكذا آت مع الاب
وعلا الحب له ما
للمحرم

[illegible]

صعاري يظل عليها السكون
وعن بعد صوته حيحي
وروح تهم : ولكن الى م ؟
هناك وراء القيوم بعيداً

القاهرة

عبداللہ

مهداة للدكتور الصديق عبد الرحمن بدوي

عبد...
اكاد اتور لكني
احس القل في اذني
يولول هازنا في
بصر ضاحكا... عبد
عبد...!
انا الخالق انساني
انا الهادم والباقي
انا ربي وشيطاني
يا ايها القيد ؟
تقوم سائرا... عبد
عبد...!
اكاد ابن يا نفسي
انئت... انئت يا حسي
لهذا العالم الانسي
الذي اتي به المهد
ويطوي شقه لاد
هو الصرح... يا عبد
انا العائش في ظلي
انا الموت بلا شكل
يا... انت يا عني
معد صوت يشهد
كل عصفه مدعو
بالذي وترد
ان انت يا العبد
لنر...

الربيع الحزيبه

الى الاستاذ مبدع ثيل نصيحة

ريم مضي .. ثم هذا يعود
صحت بسجن المأسى حتى
تحريك يا زهور الربيع
شبابي خرند حفته الاماني

افعى

حياتي

مهداة الى الشاعر ابراهيم العريض

قبل لي ما احبها ، عرقاك صباً يتصبى الحسان بالانغيات ا
هي (اسماء) تلة وهي طورا (هند) او (حى) درغانادات
وهي (مجلا) اذالردت (سلوى) وهي (نحرى) عدت استغفرت
قلت مهلاً اقلست ادري جواباً حديث يقبض بالترهات
ضلة ا فامها يضن بذكور ه لساني ، ولا تبين لساني ا
ما احبها ؟ انه ترصم في القلب فنونا تيايبا كلساني
ما احبها ؟ انه ترقق في النف سرغدا ، تسو به خطراني ا
هي كل الحسان حساً ومعنى وهي كل الجسد للنتورات ا
هي سر الربيع في الكون يبري فزاز الشوق عبقرى السات
وهي انشودة يزلها الرو ح وتساب في دمي خفقات ا
هل لهذا الحياة غير مسمى واحد ؟ انها لجسي حياتي ا

عن عبدالله الفرسى

وارهفت شقتايا وفي رهبة السر ، عاشت
واوغلت مقلتيابي وزحمة الليل ، أسرمت
نحوره وفي السحق ضريع وفي السبابه ، افعى
صكت ، علي ، ياؤوايا كوني ، كما شئت ، كوني
فلن تكوفي سوايا قطرت ، فيك مومي
تركت فيك صديا يا لحة ، من جسم :
ويا خيال خطايا ويا حطام صليب
ويا ركلم ضحايا لا تقنطي من شعري ،
ولا تركك النوايا بعضي ، يواكب بعضي
والشعر ، مل ، دمايا !!

عبد السلام عبود السود

ممن

ظماً

الودي

ولم يبد الصدى
منسر بالندى
لادي

أزاهي كرى جمال
وانفاس طفل بري
لادي

انكساب الشاع الندي
وعين ترود الثيوب
لادي

على مقلتيبا امل
.. وقتني صبايا الوجود
لادي

اذن التبع ، في مناتوها الشم ، زهياً ، وجليل النافوس
وانحنى الدهر طلياً تلاتي عزمت من اهله ونفوس
ملعب اللجيا ، لاليسف الشرع كانت دقايم والرووس
والحان الكريم سال رضى كم فحمت في السلا الشمس
لم في الصدور ، يفتح ، تحدوه رغب على الحنوع تدوس .

بالنهم المشرق الأتور
ويطلق النفس منجب
يسبح في حيطان مقفر
الانواء ، ما لا تدور
على صبح شارود مصر
تب في ظل الوجود السري
متعبة بالالم البقري ا
تنزاً بالازمان والامصر ا
فقد ، وانسل الى المغير
صرعى ، يتبع الم لم تسكر
ما برحت ، كالمل الاخضر ا
خرو نبع الواحة الكوثري ،
موحشة في السفر الاغبر .
تتمع أعراقى .. ولم اشعر .
يا وقدة التيه . وهيا اتأري ا
أوب دون المهر المذمر ،
من ظماً الروح الى المضمر ا

محمد البربطه

بضراء

انا عبدُ اوهامي وعبد
اهواك لكن في دمي
اهواك لكن كم لبست
انفاعة

طغواني وجنون روحي
نار تجوع الى الزناد
من الهوى توب الحداد
غائب طرفة زمرانه

خريف عذراء

تقول حبيبي .. ابقى الصبا
ويضي الزيمع .. وبأني الحريف
ونبقى هناك .. وراء المدى
نمشي لنسم لحسن المساء
وتبني البيوت .. وراء السحاب
كفنا نغم يدرب الثوب
حبيبي .. اخاف ريح الحريف

وتهرق في الفجر اكوابنا ..
وتذوي مع الورد أمشابنا
وفي زرقه الافق عوايننا
وتسبح في التيب اهدابنا
وللتور .. تفتح ابوابنا ..
وينم بالبحر .. اصحابنا
اذا تيجر الكرم اعابنا

نقات .. تعالى الى كوخنا
مستندة تقدر .. في الفجر
تعالى .. هناك على المنحى
مستندة للبحر .. في الربى
عشت تحت شمس الحياة ؟
بدي .. ناهب الخريف

هناك - يا بنت - احبابنا
وتورق .. في الروض احبابنا
يودد همس المسرى غابنا
تفتني .. مع الطل اقابنا
ومن دون سهم الورد بابنا
ستهمز دنياه اعابنا

ننبه .. ونغش في هجرة
ونخلد نحن بصدر الزمان

ويشقى على القرب اترابنا
وفي الكون تشرب انخابنا

دش

عبد الكريم السمان

قبلة

لا تقولي : « هو الزمان طرانا »
نحن في عالم الوجود أمسان
لا تهايمي الردى فلسنا جسوماً
فاذا الكون بات منا غلياً
لا تبالي بما تعد الليالي
قد قضينا الهوى ضلالاً وغياً
انسا المر قبلة فتعالي

نحن في قبلة طويتنا الزمانا
نحن أحلامنا ونحن هوانا
نحن إنشادنا ولنا ثرانا
كان ملء الفراغ رجم صدانا
ولو الحب يا صناد لوانا
وتركنا الهدى اقوم سوانا
نحتسبها وكل شي .. عدانا

وربع رب

من بلادي طاق مصباح الهدى
ينثر الحق سلاماً وحسانا
وعلى مقلة دنيا ندى
ترزع الحب جلالاً واقتنا ..
هي في غفوتها ذاك الوديم
ضاحككت بأسمات مقلتنا
واذا ما لوحت دنيا البخيم
نفقت جفناً ، وقامت للحياة ..

محمد شمس الدين

دش

اهواك

لا تشككي حيث الزمان
حي وحيدك والحياة
لا تشككي لو قمت احزاننا
أحزاننا احلامنا
لا تضجري لو تحول الاقدار في بابي ويتشب اقض
لن تترك الاقدار باب حياتي
لا تسألي همس اللام
هذي .. تتم حننا
لا تسألي اين الاساقى
انت كما كنت النهار
لا تسألي مسر قصتي
انا في يد الاقدار روح
لا تتركري المصبي قد
ونثرت فوق رياه اشواكي وصممت القللال
لا تسألي من غدي
هو مثل روحي في ضميم الدهر عبد الليالي
لا تسألي من حيرتي
أذبلت أحلامي وكانت جنتي فظلت ابكي
لا تسألي من حننا
اهواك - باللكائنات - وكل ما الهوى بكسي
اهواك في قلبي جراحاً ترزع البلى يبدني
أني مشيت اري خيالك قلقت وجراح قلبي
اهواك لكن في ظلمي حرقه لهوى جوحي

مكتبة الاديب



في شعره لغة تعبر النفس كأنه نسمة
عابقة بالبحر . وفيه فنية تحرك الوجدان
وتتأرجع اصحاب القارىء . فلا ينتهي من
مطالعة قصيدة من قصائده الا وهو يردد
- الله اكبر - ان من البيان لسمراً .

- قرائه بكامله ؟

- اخذت منك الديوان وفي نيتي تصفحه المساء بعد العشاء
ربما تحين ساعة السنين . فاذا في اعدل من حضور السنين واقضي
ليالي من عمر ابو ريشة . ولم اقدم . يشهد الله .

- مواضع النقد ؟

- لم اجدها انتقده في ٣٠٠ صفحة . ولم اقل في نفسي ليه
ما اثبت هذه القصيدة او ليه استثنى من هذا البيت . بل كثيراً
ما اسفرت لي قصص قصيدة كبح نفسها السالي بنا هو اخذ في
التحقيق . فاستعدتها مراراً لاجعلها اطول . هذا قول لا يصدق
في ر . ر . ر . ر . ر . ر . ر . ر . ر . ر . ر . ر . ر . ر . ر . R
الناظر عن الشعر في نفسي .

- ر . ر . ر . R

- طبع ابو ريشة هو الشعر العاطفي . هناك طابعه
شخصي جلي . يقول امام عدل حمري وقد ذكر
جديته وشي ان لا اقول جماله :

اغشى سموت رؤاي ان تنظري ... فتعجبسري

ثم قوله :

قلبي ، قد شعرت بروحي وثبت وارتقت على شفتيا

وحديثه من نفسه بلسان الببل الاسير :

كم اطلبت متفاده غصة فده يقر في قيده

لمسه البش مثل وفرة لما رآه ليس من كده

ابن طيه الكبر ان يورث الافراخ ذل تعبد من بده

وحديثه من قلبه :

ما اتحد ان اروي له غلة الا اذا كان لي المنبع

وفي مواقف مختلفة :

انا نسمة لحلم الطل على الفنا ومدام الامل الشرو الكنا

يارب عاقله وراء جوائع خرساء ابلغ من ادق خطاب

انا في السراب اروض الحياة وشرب حلم السبا في السراب

انسا في شجي المرصفي يد الزمن الحسلي

صه عمر ابو ريشة - شعر

الاستاذ عمر ابو ريشة - ٣٠٠ صفحة - منشورات دار عة الاديب - بيروت
نشرت الجريدة السورية اللبنانية النواء التي تصدر في تونس
ابريس بالاربعين هذا الحديث الممتع الذي ادلى به الشاعر الاستاذ
جورج صليح الى الاستاذ جواد تادر رئيس تحرير الزينة المذكورة .
وقد ارسل اليها الحديث بالجريدة الجوى قارئاً نشره :

"ناضت مجلة الاديب الرائية فاهدت هذه الجريدة نسخة من
ديوان نفيس اصدورته في شهر تشرين الاول المنصرم تحت عنوان :

"عمر ابو ريشة - شعر"

وشكراً لمجلة الاديب نطعمها .

التواصلة في سبيل نشر الادب الصافي في البلاد العربية .
وهذا الديوان مجلته الاتية الشائقة هو قارئ البش .
الجهد وخدمة تذكر فتشكر من خدمات دار الاديب :

وقبل ان نطالع الديوان ، دفنا به الى صديقتنا الشاعرة جورج
صليح - وهو العارف الخبير في الموضوع - وسأثناء مراجعة الديوان
وابداً ، رأيه فيه . وقد فعل الصديق ولكنه رد الكتاب اليها
غير مصحوب بمقال مكتفياً بالتقريب الشفهي الذي لا يشفي غليلنا
ولا يحمق رغبتنا باذاعة فضل الناظم والناشر . فعدنا الى اجولة
الحديث الصحفي واخذنا بطرح الاسئلة على الاستاذ صليح ويبدو ان
اجوبته . فنبات الاجوبة كافية وافية تقصم من تأتوات شعر
ابو ريشة في قلب الشاعر - وفي قلب كل شاعر - وعن جلالة قدر
الديوان من حيث العاطفة والفن وحسن البيان . وها هي خلاصة
الحديث نضما امام انظار القراء ونطعمها قبيدهم وترضيهم .

- ١٩٩٩ -

- هذا شاعر مجيد ، اتى بالرائع الجديد ، دون ان يُنقو او
يُنقو في سبيل " الرمزية " الجارف . انضم الى صفوف المحبين به
بلا قيد ولا شرط وترك مهمة النقد والتعليل للكتاب الاكفاء .
وما انا منهم .

وكم شيد مسكرو من أبي قاطعة ، فاعل من ماضي
 * * *
 دب شاذ على ألقا ادم الروح وروى الإحيال - برباه
 وها حبها كلمة «انا» ان صدرت عن الشاعر كاشفة حبها
 واده مترجمة روى اقواله وهسات خياله ، فلقراء شغف بالترف
 الى شخصية الشراء المستقرة وراء الحيلالات والروى فلا يندون
 ليهم ترديد كلمة «انا» الثالثة
 والى جانب هذه الآيات في الرقة، له ابتكارات في الوصف ،
 لحد الاعجاز :

لا تسمى خضية العلم خوفاً
إن للظلم جولة فديسه
من قريب الحمى ومن أمانه
رب حاور رداً في شهابه
وتكاد تقرأ شهر النبي في قوله عن خالد بن الوليد :
هب الفتح غامى تحته
حافر لمار جبين ألكواكب
شرف الوثبة إن ترضى إلى
غلب الواهب أو لم يتلمب
- وبالإجمال ؟

القضاء، لتجربة إمكانية جاهز ترز إلى العلاء، وتترك إلى الأفاق
الرغبة) ترسل منها أشعاعها الخاص في حباب أشعاعات الإنسانية
الحارقة المبدعة .. وها هي ذي فلسطين اليوم، ميدان تصارع
فيه قوى الحق مع قوة الباطل، وها هي الأمة العربية، يجيوشها،
وما تغتلك من عقيدة وإيمان، تنهات كرواحاً واجساداً، على مذبح
الاستشهاد في سبيل نقاد فلسطين، وفي سبيل بناء حاضر ومستقبل
يوهلانها لأن تقف فيء وكب الاحرار عزيزة الجاني موفوقاً لابلأ.

ولست لأبني من هذه التوطئة ان ادل على أهمية القضية
الفلسطينية، فهي، وفيه الحد، تحمل ضمير وقلب وتفكير كل فرد
من المجموعة العربية، في مشارق الارض ومغاربها. واذا كان
لكل نكبة شيء من الحزن، فحزنها من نكبة فلسطين هو في
هذا الشكل الحزني - السياسي - المعنوي الذي راح يسود الحزن
العربي، والادل العربي، والهمة العربية، والعزم العربي، في القضاء
مرة واحدة وأخيرة، على الموانع التي تعترض سبلنا إلى ما نصور
اليه من سود ناجز واستقلال تام ... وهو في هذا المعنى العربي
النبيل يروق على صيد الكرامة والشرف، في دفعه إلى
الأيام، والحد من محاولات الدول الاستعمارية الشوم، والحد من
العربي المتفتح، وهو في هذه المواقف، وفيه ذلك، في
من حبيب الارز، وضحات القردة، ونهضة ذلك، في
التي، ومعتات اصحوا، ترسل من ... وهو اخيراً، في
فلسطين، ليتردد صداها في مسامع المصور .. وهو اخيراً، في
هذه الاخيرة العربية، يبقى متجلية، بالرغم مما بذله وبذله لاعداء،
للاشتاء، وبالرغم مما يسعى اليه الاسكاشيون، الانداليون، من
اهل التفوق، واذا بالاستعمار ..

والآن لا بد لنا من كلمة في نقد هذا المؤلف، عبر الامانة
والتجرد والاخلاص:

اول ما يدعني انتباه القاري، فيه هذا النص من الحاسة
اللاهية، الجارفة، التي تود لو تمسح كل ما تتناوله، وتحمسه،
وتتخذه في ابلاغ صرختها إلى آذان القراء، وتقلوبهم، فالكتاب
قبل كل شيء، رسالة ضافية من شاب يؤمن بمرورته، ايماناً خالصاً
عنيفاً، إلى شباب امته، محط آمال البعث، وسياج ثراث الجدود
والآباء .. والواقع ان هذا الشاب قد وعى موضوع الكتاب،
واستكمل دراسة القضية التي يدالجها، بكثير من الادقاع والنزعة،
والإيمان، وبما يستحق الاعجاب، في هذا المؤلف الذي هو باكورة

ادبنا الشاب، امانته في نقل المصادر، وفي التعري الدقيق، على،
البحث، ومراجع التاريخ - تاريخ القضية الفلسطينية، منذ نشأتها
حتى قبيل تأزها، وانقضاء جيوش الانتقاد العربية لحلها من
محرمي الصدور، والحفاظ على عربة خالصة في حظيرة العروبة
المقدسة، فيها كتابه سجل تجل فيء مأساة فلسطين حية تتخلج
فيها آلام الامة، وبأساء وطن. وان هذا الفتاء الذي لاقاه المؤلف
في تدقيقه، ونحوه، حتى جاء كتابه مستوفياً، تام الفكرة،
والنرض، لجدير بالتقدير، والتشجيع.

ولكن هذا كله لا يمنعنا من ان نرسل هذه الكلمة الهينة من
على منبر «الادب»، فيا نستطيع ان نسميه «عاهات» الكتاب،
اهم ما يستقبل المطالع في الكتاب ضخامته، فإذا ما بدأه،
راح يتحسس شيئاً من الضعف في ابراز الفكرة بأسلوب تغلب عليه
الزكاسة، وان تحله في كثير من الواقع، بعض وضحات قارعة،
قوية، لا تكاد تلتئم حتى تتطفي .. وهناك ما هو اشد وطأة
من ذلك، الا وهو التكرار الذي يقيم فيه المؤلف اكثر من مرة
نفس الصيغة تقريباً، والاسترسال في الشروح والتأنيق، والافراق
في مسائل والتحاليل، حتى يوشك المعنى ان يلتبس، والفكرة
تتكرر، وفي ذلك، وجهه إلى ان المؤلف كان في كتابته
... في تلك الحالة، فيرسل لها العنان دفقاً للفتات إلى
... اطار، روايه فيه، ولعل حادثة
عمره في التأليف، وضلته قمره بالكتابة، رغم وفرة تحصيله،
ورطناه في «عاهة» التطويل الذي جره إلى الحشو والتكرار ..
ثم هناك عامل آخر يضطرنا إلى الاعتقاد بان المؤلف الاديب لم يكن
يرجو من تأليفه الا غاية واحدة، او هدف واحد، هو التذليل على
عظم النكبة، وهول القاذرة، فيا اذا تمكن الصابنة من تشديد
وطنهم القومي في فلسطين، والتنبه إلى الاخطار التي تهدد كل قطر
عربي، وكل حلم عربي في السيادة والحياة، فيا اذا ظل العرب
ينظرون إلى «مشكلة فلسطين» نظروهم إلى قضية منفصلة عن
قضاياهم، مستقلة عن مشاكلهم.

وفي الكتاب اغلاط وهنات لغوية، عديدة، نرجعها إلى ما
سبق وقلناه عن حادثة عمره بالكتابة والتأليف .. وبما حبذا لو
اجتهد في جعل مؤلفه القيم خلواً من هذه الاخطاء.

وجمع هذه «العاهات»، أيضاً، لا تقلل، في نظرنا، من
أهمية الكتاب، ولا سيما انضمام ان الاستاذ نديم بطار، شاب،
طري المرود، في التفكير، يتزل إلى ميدان الادب بعزقة وإيمان،

والى حومة النضال مجرأة وأخلاص. وأتينا نترجو صادقين ان يطالع الشاب العربي في كل قطر هذا الكتاب ، ليبدد فيه نداء. يتجسد فيه الحق ، ويتأقن الرجاء... نداء مصدرة القلب والضيق والوجدان. ونأمل ان نجني تأليفه التي اشار الى اهتمامه باعدادها ونشرها مستوفاة جميع عناصر « الفن الشكلي » الى جانب الفكرة والمضى ، والروح... وكفة أخيرة لا بد منها ، هي ان هذا الشاب الناشئ - عرف كيف يسم صوت الشباب الحلي الوهاب في ادوع مأساة تلم بدنيا العرب مع التاويع وخلال العصور ، فاستحق شكر النش - الحديث .

بأماكو - السواديه الافرنسي
فرهر ابراهيم

مباحث في الاقتصاد العراقي

للاستاذ مير بصري - ٣٣٦ صفحة - شركة التجارة والطباعة - بغداد
اخرجت المطبعة العراقية في هذا الاسبوع كتاباً فريداً لشخصية فريدة. هذا الكتاب هو «مباحث في الاقتصاد العراقي» الذي مزج بين العلم والادب وعرض الحقائق الاقتصادية في ثوب يراق من الاسلوب الرقيم واللغة البليغة السليمة. ولا غرو فاننا نرى من شباب العراق الماهرين عرفت بشخصية... وحاز مكانة مرموقة في المحافل الاقتصادية... و... و...

ولد مير بصري في بغداد سنة ١٩١٢ وهو من الاقتصاد والطابة العربية وعلومها والآداب الشرقية والفيزية دراسة مكثفة واتقن لغتين الفرنسية والانكليزية. شغل وظائف مختلفة في الحكومة العراقية فكان سكرتيراً لوزارة الخارجية ووكيلاً لدير التشرقيات ومديراً لفرقة تجارة بغداد ومديرأ للدعاية في جميع النشور العامة وانتدب لتمثيل العراق في معرض باريس العالمي ومؤتمر التجارة الدولي المنعقد في نيويورك، ورئيس تحرير مجلة فرقة تجارة بغداد ثماني سنوات فحصل منها مئبرأ حراً لاقتلام اكابر الكتاب والباحثين ورواع الشباب المثقف مآاً. وبلنت مكانته في الاراسط التجارية ان اختير لعضوية لجان رعية مختلفة لأمالة شؤون البلاد الاقتصادية والمالية وان اصبح يستقني في كل صنفه وكيفية من امور المال والتجارة والاقتصاد. واشترك في الحياة لامة فانتدب عضواً في المجلس العام لواء بغداد ومجلس اللوا الاداري فكان مقرراً للجنة المالية وتقدم باقتراحات قيمة في سبيل ترقية اللوا. وانجاز المشاريع المفيدة.

ومير بصري الى جانب ذلك اديب محلي وشاعر رقيق عوف

باسلوبه الاتيق الذي اتفرد به حتى صح فيه قبول وفوفون : « ان الاسلوب هو الرجل » . فموض الشعر فنظم الملاحم كلمة « نهاية الايطال » التي استمد موضوعها من اسكندريانية الوثنية وقد نشرتها مجلة « الكتاب المصري » فافترت لما يضم عشرة صفحة في عدد واحد . وقد تزعم الاستاذ في بعض شعره تزمة صوفية ورمزية وهو اول من ادخل الى اللغة العربية « الارائين » او « السبايعات » على طرز السونيت Sonnets الانجليزية. اما نشره فامتاز بدنيابة مشرقة وايقاع يهز القارى. ويدهدهه ، وقد كتب في شتى الوصيم العصة ودفاعة والتاريخ والتراجم والنفذ الادبي والادب المغارن ونقل بعض روائع الادب العربي شعراً ونثراً . وقد اذاع خلال السنوات الاخيرة ثبات الاحاديث من مجلة بغداد الاسلكية وسواه من دور الاداعة العربية فتنسوت « واصبه الشعر والقصص والحياة الادبية والاجتماعية والاقتصادية ».

ان كتاب « مباحث الاقتصاد العراقي » الذي صدر الآن قد جمع في صفحته ٣٣٦ طراً من كل هذه النواحي المتعددة المتباينة المتكافئة تحفة لا نظير لها . واذا كان اسلوب المؤلف اديباً بصري القاء... لم يجعل الناحية العلمية مسلي حساب... روح العالم المدهق في التوير على... صالحة وطنه... كماله... فليخص الكتاب بكلمة قصيرة اذ قل : « يكفي المرء ان يقرأ اسم المؤلف ليقدر التأليف حق قدره » .

قسم الكتاب الى ستة ابواب : (١) شؤون الاقتصاد (٢) نظرات اقتصادية (٣) شؤون التجارة (٤) شؤون الزراعة والصناعة (٥) شؤون النقد والمال (٦) الاقتصاد والحرب . واختتم بما لا يقل عن ٤٠ صفحة من الماچم والفهارس العلمية المفصلة اهمها معجم للاعلام ترجم الاشخاص الذين جاء ذكرهم في المتن ومعجم للاصطلاحات والنظريات الاقتصادية ضم مئات الالفاظ والتاوير مع ما يقابلها باللفتين الانكليزية والفرنسية . ولا شك في ان لهذا المعجم قيمة كبيرة في تقرير الاصطلاحات الاقتصادية وتثبيتها وتعميمها بين قراء اللغة العربية .

وامتاز الكتاب بعد ذلك بآرخته الإصلاحية فهو يدعو الى النهضة الاقتصادية الشاملة واستثمار المرافق المحلة وزيادة الثورة العامة ورفع مستوى المعيشة لطبقات الشعب واستفهام السياسة

العربية وتحليل لزايا الاسر الصحيحة الصالحة التي تقوم عليها القومية .

ولل اهداء الكتاب غير دليل على فحواها حيث يقول الاستاذ المؤلف : الى ام الجدي التي تمنى تربة بلادها بدم ابنها ودمها لتني للجيل القادمة صرح مزومة . أهدي هذا .

اني ليسرني في هذه المجاملة ان ادعو كل من يعتز بالقومية العربية ، وانادي كل من يدن بالعربية الصحيحة ، ادعوم وأناديهم لاقتناء هذا الكتيب تشجيعاً للفلاح في سبيل القومية العربية ، واعلاء كلمة الحق . واحباط الباطل .

فرداد
صبي عبد العزيز العالقي

الكشف للبيان

تريب رشيد شير - ٢٥٦ صفحة - مطبعة الكشاف - بيروت

منذ ان ابتدع اللورد بادن باول نظام الكشافة والحكومات القومية في سبيل تشجيع هذه الحركة في بلادها والسبل على الحركة القومية في نفوس الناشئة من روح رياضية سامية وعزيمته لالتقاء ل النير وامتياد على الحياة الحشنة البعيدة كل

التي كانت على عكس الغاية التي انشئت من اجلها اداة المنازعات واثارة الضغائن - لم القائلين على امر الكشافة عندنا يتدبرونه حق التدبر فيفيدوا البلاد والناشئة بهذه الحركة النبيلة . وقد وفق المترجم في ترجمته فبما عرضه سهلاً واضعاً الا انه لم يحل من بعض الاخطاء الطبعية واللغوية كان بالامكان تلانيا بقليل من الناية .

قوة الظاهر في التاريخ

صادق للالانكة - ٢٦٥ صفحة - مطبعة الجامعة - بغداد

هذا كتاب طريف في موضوعه اذ يبحث كما يدل عليه عنوانه في رجال الفسكافة مع سرد لبعض نوادرهم ولكلماتهم كايهممة والاشيى وبارش يرند وابو دلامة وابو السائب الخزومي وابن سودون وابو السينا وغيرهم كثير .

وقد عني المؤلف بشرح الكلمات النامضة او الموصية في اسفل كل صفحة تسلياً للقارىء في تفهم الملحة .

الاقتصادية اداة للنهضة الاجتماعية والرفاهية العامة كما يدعو الى مكافحة الفقر والجمل والموض وتحقيق الاستقلال الاقتصادي الذي يثمر دعامة الاستقلال السياسي وتوثيق التعاون الاقتصادي بين الاقطار العربية الشقيقة . وهذه الدعوة مبثوثة بين دفتي الكتاب فلا تكاد تقاب صفة حتى تجد التزمة الاصلاحية ظاهرة في اجلي مظاهرها .

ان على الشباب العراقي خاصة والوطني عامة ان يتدبر دعوة الاستاذ في بعدي وان يشمله الكتي في حق الاقطار العربية الناهضة ما تصبو اليه من دمي شامل وسعادة .

فرداد
نجيب عارف

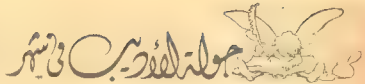
لماذا أنا قومي ؟

الاستاذ ابراهيم شوكة - ٧٧ صفحة - مطبوعات مكتبة الشباب القومي - بغداد

الاستاذ ابراهيم شوكة مؤلف كتير لمسا اذا انا قومي ، ادوب المي يتار بيد في الناطور ، وكاتب لودمي يتار بدقة التبهر وجل الاسلوب . عندها كتلت الكتاب انا . مؤلفه شوقي شعور مزيج من المهقة والشعور الى مؤلفات الاستاذ الادب التي تحت ان لا تار مكتبة منها . وسادت نفسي من عذلة القوم .

الصفحات يضم الاستاذ مغزى القومية ، ولا تارها .
فالقومية ، كما اعتقد ، لا يمكن حصرها في مؤلف صغير ، بل في مؤلف كبير الحجم واسع المبنى . ولكن بعد ان تسلى لي في غور المؤلف ، والتشرف الى حقيقة فحواها ، آمنت في قرارة نفسي بأن مؤلف : لماذا أنا قومي ؟ هو القومية ذاتها امتكن بين جوانحه سوداً منها بينات اظهرها للآل او لآخرى لكل شاب يدن بالقومية الحققة ، واخرجها من عالم التصور الى عالم التصوير بشكل يستسيغه الجلال . ويوضي عنه العلماء ، كانت رغبة ماسة تلك التي حدثت في الى ان اتصع المؤلف الصغير فلم اشأ ان اقرأه عرضاً بل اشبعته قمعصاً وتديقاً فواعني ما حوى بين دفتيه من معان القومية وما هو مفراها وما هي اسسها والاكتابا . ولا يبعين القارىء الكريم اذا قاتل ان هذا الكتيب الفريد في بابه ، الصغير في مبناءه والكبير في معناه قد حلل كل ما يشق بالقومية العربية ولماذا تتر العروبة بقوميتها ، وما هي اسس القومية الحققة ؟

ويقيني ان المؤلف قد اوفى بالفرض المطلوب من تبيان للقومية



١٩٢١ - لجنة خاصة لهذا الغرض ، استم

بالم « لجنة التعاون الفكري بين الأمم »
Commission internationale de coopération intellectuelle

واللجنة الاسمية المذكورة ، أخذت تنشي

سنة ١٩٢٢ - « لجناً قومية » في مختلف البلاد المنسوبة الى عصبة الأمم . كما انها أنشأت عدة « لجان اختصاصية » مؤلفة من « الخبراء » في مختلف الشؤون الفكرية . وربما كان اهم هذه اللجان الاختصاصية « لجنة الخبراء » التي تأسست سنة ١٩٢٣ ، « لتعلم الناشئة اهداف عصبة الأمم » Comité d'experts pour l'enseignement à la jeunesse des buts de la Société des Nations

وعندما توسعت وتقدمت اعمال هذه اللجان المختلفة ، وروى من الضروري تأسيس « مكتب دائم » يقوم بتنسيق هذه الاعمال ، ويتولى ضخمة المشاريع المتعلقة بشئون اللجنة الاصلية ، مع تنفيذ المقربات لصادرة منها ، فأُنشئ . سنة ١٩٢٥ - « معهد التعاون

الفكري بين الأمم » Institut International de Coopération Intellectuelle

وللمعهد المذكور ، بدوره ، أنشأ عدة شعب ودوائر ، كان من جملة :
شعبة العلاقات الجسامية ، شعبة العلاقات العلمية ، شعبة العلاقات الادبية ، شعبة العلاقات الفنية ، ومركز الاستعلامات المدرسية ،

ومكتب المتاحف الاممية ...

وقد عرفت مجموعة المؤسسات التي أنشئت بهذه الصورة بصورة تدريجية ، بالم « منظمة التعاون الفكري بين الأمم » Organisation Internationale de Coopération Intellectuelle
واما مهمة هذه المنظمة وهذه المؤسسات الاممية . فقد خصها رئيسها بما يلي :

اولاً : تهيئة الوسائل التي تزول الى تقدم العلوم وحيانة القيم الفكرية ؟
ثانياً : تنمية روح التفاهم المتقابل ، وتقوية النية الحسنة بين الأمم .

وقد اشغلت مؤسسات « التعاون الفكري » الإنقفة الذكر لتحقيق هاتين النيتين ، حتى الحرب العالمية الثانية ، بوسائل متنوعة :

بونسكو | كلمة جديدة ، استحدثت لتسمية مؤسسة جديدة بها جديدة شكل . معى احدة : ليس لها أي أصل وأي جنس ، في أية لغة من لغات العالم . فقد تكونت على طويقة خاصة من النعت والاختزال . على أساس وهل الحروف الاولى من الكلمات الست التي تدل على اسم المؤسسة الاصيل حسب ترتيبها في اللغة الانكليزية : « منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم والثقافة » United Nations Educational, Scientific and Cultural Organisation

والمؤسسة التي سميت بهذا الاسم ايضاً جديدة ، لانها لم ترميد السنة الثالثة من عمرها . ولكنها لم تكن جديدة بكل معنى الكلمة . لانها قامت - في حقيقة الامر - على مؤسسة قديمة

أنشئت عقب الحرب العالمية الاولى ، وعاشت الى حين اندلاع زوايا الحرب العالمية الثانية .
ونستطيع ان نقول بكل تأكيد :
ان مؤسسة بونسكو ، ليست الا شكلاً جديداً للمؤسسة التي كانت تعرف قبلاً باسم « منظمة التعاون الفكري بين الأمم » . Organisation

tion internationale de Coopération Intellectuelle

ولا نندو الحقيقة اذا قلنا : انها وريثة تلك المؤسسة القديسة وخليفها الطبيعية . فيجد بنا ان نقول : باذا تمتاز المؤسسة الجديدة عن القديسة ؟ ما هي أوجه الشبه والاختلاف بينهما ؟ وهل يدل « تحول » المؤسسة من شكلها القديم الى شكلها الجديد ، على « تطور ارتقائي » ، أم يدل على « تطور ارتجاعي » ؟

للإجابة على هذه الاسئلة (اجابة صعبة) ، يجب علينا - اولاً - ان نلقي نظرة عجيلى على تاريخ المؤسسة القديسة ، وان نستعرض استعراضاً سريعاً اهم الاعمال التي قامت بها ، بين الحربين العالميتين الاخويتين .

عندما تأسست عصبة الأمم - سنة ١٩٢٠ - بوجه هذه النيات الصالح التي مقدت بعد الحرب العالمية الاولى ، رأت من الضروري - بدعم اعمالها السلفية بالوسائل الفكرية والفنوية ، فأُنشئت - سنة



الليغون ناسيون



عقدت سلسلة طويلة من المؤتمرات ، دعت كبار رجال الفكر والادب الى الاجتماع من وقت الى آخر ، في مختلف المسند ، «للمناقشة والمطالبة» في اهم المسائل الفكرية ، وقامت بعدة أبحاث وتحقيقات واسعة النطاق ، حول بعض الامور التي تهم جميع الادمى على حد سواء ، ووضعت مشاريع عديدة لتأمين التساوت الفكرى بواسطة المعاهدات ، ونشرت كثير من الكتب والمجلات ، لتدوين نتائج هذه الابحاث والمناقشات ، وأخذت على الناس .

وأما اهم هذه النشرات فكانت : مجلة شهرية تسمى بشؤون التربية والتعليم ، واخرى تبثت في شئون المتأخرين بوجه عام . سلسلة مطارحات في مستقبل الثقافة - وفي مستقبل الفكر الادبى - وفي تكوين الرجل المصري - وفي علاقة الفن بالحقيقة والدولة - وفي الانسانيات الجديدة والانسانيات القديمة .

سلسلة ابحاث وتحقيقات : في حقوق الملكية الادبية - وانظمة ابداع المطبوعات - ومهمة المكتبات الشعبية في الحياة الفكرية والاجتماعية - مهمة السينما ، وخدمتها للتربية والتعليم - مهمة الاذاعة ، وتأثيرها في الحياة العامة - مهمة الصحافة - الكتب المدرسية ، من وجهة تأثيرها في تفاهل الشعوب

وقد اعتمدت مؤسسة التعاون ، في جميع هذه المجالات المتعلقة بالمعاهدات الثقافية اهتماماً كبيراً ، فبجانب مشروع القانون الدولي المتعلق بتبني الكتب المدرسية من الابحاث «البحوث» التي تثير الضغائن وتحول دون استقرار السلم وتفاقم الشعوب . كما انها جمعت ونشرت جميع «المعاهدات والاتفاقيات الثقافية المقروءة بين الدول المختلفة حتى سنة ١٩٣٨ . وفي الاخير وضعت مشروع الاتفاقية التي تضمن صيانة المتاحف والمباني اثرية من ويلات الحروب والنارات الجوية .

ولكن الرجال الذين كانوا اخذوا على مواقفهم الجحاز هذه الاعمال الهامة لاحظوا : ان بقاء هذه المؤسسة مرتبطة بمصبة الامم ، لا يخلو من مخاطر كبيرة ، لان هذا الارتباط يجعلها تابعة الى «هيئة سياسية» ، ويعرضها الى تأثير «التقلبات السياسية» ، فيقول دون تنظيم وتسيير امورها ، وفق ما تقتضيه مبادئ «التعاون الفكري الاعمى» السامية ، بمبادئ الحقيقة واصلها العلمية . فأخذ هؤلاء يدعون الى فصل مؤسسة التعاون الفكري عن مصبة الامم ، كرجاء مستقل عنها ، وغير متأثرة بالسياسة التي تقبها . فقد اثمرت هذه المساعي الثمرات المطلوبة منها ، وقرر المؤتمر

الذي انعقد في باريس خلال الشهر الاخير من سنة ١٩٣٨ ، مشروع «الاتفاق الدولي» الذي وضع لهذا الغرض .

وقد صرحت المادة الاولى من هذا الاتفاق الدولي : ان الدول المتعاقدة تقرب عمل التعاون الفكري مستقل عن السياسة . وعينت موداه التالية ، كيفية مساهمة الدول في هذا التعاون الفكري .

وصرحت موداه الاخيرة : ان الاتفاق المذكور سيترك معروضاً الى توقيع الدول الممثلة في المؤتمر حتى ٣٠ نيسان - ابريل - سنة ١٩٣٩ ، وإلى انضام سائر الدول اعتباراً من اول ايار - مايو - ١٩٣٩ . وانه يصبح نافذ المفعول حالما يبلغ عدد الدول الموقعة عليه اربعة والخمسة الى الثانية .

ولا حاجة الى البيان : ان كل ذلك جاء متأخراً ، لان الازمات السياسية الحادة التي ادت الى نشوب الحرب العالمية الثانية ، كانت قد بدأت فعلاً قبل الموعد المذكور . وهذه الحرب عطلت - طبعاً - الحال - اعلم «التعاون الفكري» و«مصبة الامم» في وقت واحد . ولقد تأخرت مؤسسة التعاون الفكري من الحرب العالمية ، تأخراً شديداً جداً ، لان مركزها كان في باريس . ومن المعلوم ان باريس كانت تحت الاحتلال . ومنه ان التقلبات السياسية والعسكرية طرأ على الحياة الدولية .

١ . مختلفة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة - ويبدو صريحاً : مؤسسة اليونسكو - فقد تكونت بمسند الحرب العالمية الثانية ، راء على قرار هيئة الامم المتحدة ، بموجب اتفاقية دولية وضمت في اواخر سنة ١٩٤٥ (١٦ نوفمبر - تشرين الثاني) .

والتعرض من انشاء هذه المنظمة مذكور بصراحة تامة ، اولاً في ديباجة الاتفاقية ، وثانياً في المادة الاولى منها .

وقد جاء في مسهل الدباجة ما يلي : «من حيث ان الحروب تبدأ في مقتل الناس ، وجب ان توضع اسس الدفاع عن السلام في هذه القول» .

وجاء في رقة الدباجة : ان الدول المتعاقدة تقصد بتأسيس منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة «تقوية اسباب السلم العالمي» ، وتعزيز ارقامية العامة بين جميع بني الانسان ، عن طريق التعاون الثقافي والعلمي والتربوي بين شعوب الدنيا قسامة ، وهو الغرض الاعمى الذي من اجله اُنشئت هيئة الامم المتحدة ، والذي نادى به ميثاق هذه الهيئة» .

لتخليص اليونسكو من التأثيرات السياسية « غير ان العلاقات القوية التي تربط الشئون الاقتصادية بالاغراض السياسية تجعل هذا التدبير واعياً جداً .

زد على ذلك ، فان الفقرة الاخيرة من المادة المذكورة نصص على ما يلي : اذا قررت هيئة الامم المتحدة اسقاط احدى الدول من عضويتها « تقعد الدولة المذكورة عضويتها في اليونسكو ايضاً على الفور وبدون اجراءات » .
ان كل ذلك يحيل مؤسسة اليونسكو تابعة لهيئة سياسية وخاصة لرغبات تلك الهيئة ومقراتها .

ولا اراني في حاجة الى الارجحة على ان « هذه المنظمة العلمية والثقافية » التي لا تستطع - بحكم نظامها الاساسي - ان تضم اليها بعض الدول الا بعد اخذ « وافقة هيئة اخرى تابعة الى منظمة ذات اغراض سياسية صريحة . . والتي تضطر الى فصل البعض من اعضائها لاسباب لا تمت بصلة ما الى الشئون العلمية والثقافية ، بل مجرد صدور قرار من هيئة سياسية بمنح لاسباب سياسية صرفة .
الحقيقة . . انها تصليح بصفة سياسية ، لا يمكنها ان تجرد منها ما حاولت سترها تحت تسميات خلافة ، مثل « احسانا الدولي » ، والعلوم العالي » ، والعامل الانساني » .

ولذلك اننا لا نردد في القول : بان النظام الذي انشأ مؤسسة اليونسكو الجديدة ، يدل على « رجوع الى الوراء » بالنسبة الى المرحلة التي كانت وصلت اليها . مؤسسة التعاون الفكري القديعة ، قبيل الحرب العالمية الاخيرة .

هذا ، واذا تركنا دلالة النظام الاساسي جانباً ، واستطلقنا المشاريع التي وضعتها - والاتجاهات التي اظهرتها - منظمة اليونسكو منذ تأسيسها ، توصلنا الى نتائج مماثلة للنتيجة الانفة الذكر من وجوه عديدة .

اذ الائمة التالية تكفي لتبين ذلك بكل وضوح :

● تصرح التقارير الصادرة من بعض اللجان في اليونسكو « ان هذه المؤسسة جزء متمم لهيئة الامم المتحدة ، وان نجاحها يتوقف على نجاح تلك الهيئة » .

في حين ان الامر كان يجب ان يكون على عكس ذلك تماماً : كان يجب على اليونسكو ان تعمل للمستقبل فلا تربط مقدراتها بقدرات هيئة سياسة مثل هيئة الامم المتحدة الحالية . لان هذه الهيئة السياسية محكومة - بطبيعتها - لان تكون مسرحاً ، تتنافس

كما جاء في مستهل المادة الاولى من الاتفاقية : « ان الغرض من تأسيس المنظمة هو خدمة السلام والامن بتقوية تعاون الشعوب من طريق التربية والعلوم والثقافة » .

يلاحظ من كل ذلك ، ان هذه المنظمة نشأت في ظروف مشابة لظروف نشأة « لجنة التعاون الفكري » كل المشابهة ، ولاغراض مماثلة لاغراض تلك اللجنة كل المماثلة ولهذا السبب فقد انتهت نفسها بثابة « الوريثة الشرعية » لها ، فطالبت بيواتها - من كتب واوراق واضابات واموال - ومع هذا اعلنت انها مختلفة عنها ، واوسم منهاجاً منها .

ولا شك في ان هذه المنظمة الجديدة ، تختلف عن المؤسسة القديمة ، من وجوه عديدة : انها نشأت اشد طموحاً واوسم ثروة منها ، ووضعت لنفسها خطة أكثر عملياً واثلاً ، مثالية من خفاط سالفها ، لانها بدأت بالعمل لمساعدة البلاد الفقيرة ، مساعدة مادية في ساحات العلم والتعالم ، فاستطاعت لذلك ان تحصل على بؤزانية اضمهم بكثير من الميزانية التي كانت تصرفها اليها ، مؤسسة التعاون الفكري القديمة ، بين الحريين المائتين . .

غير ان هذه المنظمة الجديدة ، لم تستفد من تجربة المؤسسة السابقة وخبرتها في الشئون السياسية ، فلم تحاول الاستقلال عن المنظمات السياسية ، كما فلت تلك المؤسسة في اواخر عهدها ، بعد التجارب الطويلة التي مرت عليها .

نشأت منظمة اليونسكو مرتبطة بهيئة الامم المتحدة ، وعقيدة بقيود سياسية عديدة .

في الواقع انها تدعي « البعد عن السياسة » . غير ان نظامها الاساسي لا يؤيد مدعاها هذا : لان المادة الثانية من هذا النظام تصرح بان « عضوية هيئة الامم المتحدة تستع خضاً حق العضوية في منظمة التربية والعلوم والثقافة » انها لا تمنع انضمام « الدول غير المشتركة في هيئة الامم » الى عضوية هذه المنظمة ، غير انها اشترط لذلك « مراعاة احكام الاتفاق الذي يتم بين المنظمة وبين هيئة الامم المتحدة في هذا الشأن » والاتفاق الذي تم فضلاً بين هئيتين يقضي بإسالة امثال هذه القضايا الى « المجلس الاقتصادي والاجتماعي » من هيئة الامم المتحدة ، ويبقى القبول في عضوية اليونسكو على « وافقة المجلس المذكور » .

في الواقع ان مديري اليونسكو يصرحون بأن تقرير « مبدأ الرجوع في هذه القضايا الى المجلس الاقتصادي والاجتماعي مرصاً عن الهيئة العامة للامم المتحدة » كان من جملة التدابير التي اتخذت

وتتخاض وتتعاقل عليه الاطماع الدولية بشق الصدور ، وتتوالى عليه مشاهد المخادعات السياسية بأشبه الاشكال ، وتختفي خلالها اصوات الحق والحقيقة بأفهام الاساليب .

فكان على الهيئة التي تأخذ على عاتقها مهمة « خدمة السلام » عن طريق التربية والعلم والثقافة ، ان تتدبر هذه الحقيقة حتى قدرها ، وان تتباعد عن هذا المسرح السياسي كل الابتعاد .

• تسمى هذه المؤسسة المالية الى تأسيس مواكز اقليمية عديدة قائمة على الاعتبارات الجغرافية ، وذلك علاوة على « الشعب القومية » التي يجب ان تتأسس في كل دولة من الدول المشتركة في المؤسسة . واللجنة التحضيرية المكلفة بوضع المخطط اللازمة لتكوين هذه المراكز الاقليمية ، تقدمت برؤاها واقتراحات عديدة ، كان من جملة : ان يقيم « مكتب اليونسكو الاتليمي » في بنابة واحدة ، او في مجموعة بنابات متقاربة ، مع سائر المكاتب المراكز والمهيات التي تنبثق من هيئة الامم المتحدة في ذلك الاقليم ، وذلك لضمان اتصال مكتب اليونسكو بتلك المكاتب والمهيات اتصالاً مستمراً . وقد ذكرت اللجنة بين القوائد المتوخاة من هذا الاتصال « انه يساعد على توليد وتكوين وضع مشترك تجاه المسائل الثقافية والاقتصادية والسياسية » .

يظهر من ذلك بكل وضوح : ان محال اليونسكو تحيد نزاع وخطأ هذه المسائل بعضها ببعض ، ولا تتقدم في الشؤون الدولية والثقافية الحقيقي « بين الامم » - خدمة للاغراض السامية المدونة في نظام اليونسكو - مما لا يمكن ان يتحقق الا بفضل الامور الثقافية عن الاغراض السياسية ، فضلاً تامة .

• يوجد بين المشاريع التي اولتها مؤسسة اليونسكو اهتماماً كبيراً مشروخ لا يتجاوز من القرابة بالنسبة الى اغراضها الاساسية : وهو « تأليف وطبع مجموعة من المختارات الادبية ، عن ضروب الآلام التي عاشتها بعض البلاد خلال احتلال دول المحور ، ومن جهود المقاومة التي بذلت ونظمت في تلك البلاد للتخلص من ذلك الاحتلال » .

تجاه الاهتمام البالغ الذي تظهره « منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة » لهذا المشروع ، لا ينبغي الا ان أسأل بكل صراحة وبشكل اخلص : هل ان تأليف ونشر مثل هذه المجموعة الادبية ، مما يدخل في نطاق الامور التي يجب ان تساهم فيها وتعاون عليها جميع الدول والامم المنسبة الى هذه المنظمة المالية ؟

ثم ، افلا يوجد شي . من التناقض بين رعاية هذا المشروع وبين « خدمة السلام عن طريق التربية والعلم والثقافة » كما يطلبها

نظام اليونسكو ببوارات صريحة ؟

أفلا يتناقض ذلك مع ما توصي به هذه المنظمة - في عدة مناسبات - من « السعي وراء ازالة الخصومات من النفوس ، ووضع اسس السلام في العقول » ؟

واما اذا قيل لي - رداً على هذه الاسئلة - « ربما ذهب رجال اليونسكو الى ان تحقيق هذا المشروع يساعد على توطيد السلام ، لانه يستهدف - في نهاية الامر - التحضير من الاعتداء والتشجيع على مقاومة الاعتداء » . فأنا اقول - في هذه الحالة - اذا كانوا يمتقدون ذلك حقاً ، لماذا يحضرون المشروع داخل نطاق « عالم دول المحور وحدها » ، ومنافضها المحور وحدهم ؟ أفلا يعلمون ان الشعوب المطلومة والمضطهدة ليست عبارة عن تلك التي تكبت باعتداء المحور خلال الحرب العالمية الاخيرة ؟ او يعلمون ان هناك شعوباً اخرى قاست - ولا تزال تقاس - شقى الآلام والانواع الشقاء . من جراء اطماع بعض الدول المؤسسة لهيئة الامم المتحدة نفسها ، والداخلة في اليونسكو نفسها ؟ لماذا لا تساءل « منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة » مسلماً واحداً تجاه هذه وتلك ؟

ان كل هذه الملاحظات تدل دلالة قاطعة على ان هذا المشروع - الذي خطي اهتمام اليونسكو ، بشكله المعلوم - لم يكن وليد « تفكير على ورقة قلمية » ، بل هو محصول مطالبات جماعية بعيدة من ذلك التفكير ، ومن تلك التزعة . ومدفوعة بدوافع سياسية واضحة . ان لا ادري لوماً لاطالة البحث وتكثير الاشكال في هذا المضمار . واختم كلامي بدعوة مديري اليونسكو الى التدبر في امثال هذه الامور ، والتبصر في عواقب هذه الانجبايات . . . والسعي وراء تجميد اعمال التربية والعلم والثقافة عن نطاق تأثير الاطماع والمخادعات السياسية . والا . . فلا اتردد في القول : بان « مجلة اليونسكو » لن تكون كسيرة « مجلة الكثيرين من الجامعات ، شبه العلمية ، التي ترعرت تحت رعاية وزارات المستعمرات او وزارات الخارجية .

« ثقافة »

سالم المصري

« البركة » وعدها لا تكفي

تطعن على شرعنا العربي ، حكومات وشعوباً وافراداً ، تزع من التوكل والارتجال ، هي علة ما نشاهده من فساد وفوضى وتحاليل وانجبايات . يتوكلون على كل شخص ما عدا الله ، ويرتججون في كل عمل حتى في تقرير مصير البلاد . وتسبب الامور اليوم في جميع مرافق هذا الشرق - في مصر القنبلة الذرية - هلعاً ينجح من

«الدروشة» أو صمد اذا شئت «على الحركة» كما تقول العامة .
كان آباءنا واجدادنا يراولون اعمالهم التجارية «على الحركة»
فلا يحضرون اعمالهم حتى لا تفقد الحركة ، ولا يعلم الواحد منهم
مركزه المالي الحقيقي فالامور تسير على الحركة ، والمرد والاحصاء
في نظرم يذهبان بهذه الحركة .

وسادت هذه العقيلة «عقيلة الحركة» احد الاجتماعات السكوية
حين مثل مندوب احدى الدول العربية عن عدد مصفحاته فاجاب .
«عندنا من خير الله عدد وافر ، مستكوثون مسرورين . .
عندنا الحركة» .

انا لا اعرف تاجراً سارت اعماله على الحركة وحدها الا واعلم
افلاسها في النهاية . انا لا اعرف قائداً تنظم معركة حرية على الحركة
وحدها الا وخسر المعركة في النهاية .

ما اتسم الخطيب الذي يقف في الجماهير ويخطبهم على الحركة
بما يقتضيه الله عليه . وما اشقى جمهور المستمعين لهذا الخطيب . . وما
اتسم الكتاب يمسك القلم ويكتب على الحركة . . وما اشقى قراءه .
بل ما رأيكم في مؤزنة الدولة اذا وضعت لرقائهم على الحركة .
عالمنا اليوم عالم درس عيق وتخصص وافر . واستعداد منظم
واحصاءات صحيحة . . عالمنا اليوم مادي لا يعيش فيه الانسان
بالروحانيات . فقد مضى الزمن الذي كان فيه المراءاة تنظم
الباء . . قالها لا تطعم خيراً ولا عسلاً كما قال عمر بن الخطاب
ان الذين يعالجون سياستنا العامة على «الحركة» ان يبارك الله
اعمالهم ولن يقتض الله عليهم بالخير .

ان معالجة شؤوننا العامة على «الحركة» هو نوع من الشذوذة
والتدجيل . ان معالجة قضايانا السياسية «على الحركة» اشبه بشي .
موجة الحركة الصغيرة السرداء . تقاوم بها القنبلة الذرية .

«يرورت لما»
عبدالله المشرف

فتياتنا وتخصص العالمي . . .

كثيراً ما نسألني فتاة من بناتنا الطامحات : ماذا تخصصني ان
اتخصص ؟ فيكون جوابي دائماً يكون تردد «تخصصي بالادوية» .
ولبعض الفتيات مجيبين ضد هذا القول افنهن يقلن مثلاً بأن
بعضهن قد لا يصبحن امهات ؟ وهن يقان ايضاً بأن الامومة ممكنة
دون تخصص . . وبينهن من يرين بأن طموحن لا يجوز ان يقف
عند هذا «التخصص» بالامومة . .

فالي اللواتي يزعمن بأن بعض الفتيات قد لا يصبحن امهات ، اقول :

ان الاتجاه الطبيعي للفتاة هو ان تخصص اما : اذا شئت القاعدة
بنسبة مئوية ضئيلة فالشذوذ لا يبنى عليه . فضلاً عن ان انصراف
الفتيات الى تدبير مستقبلهن ، على اساس عدم تأكدهن من امهن
مدعوات الى الامومة ، يصعب يجد ذاته سبباً في زيادة تلك الاسكانية ،
امكانية ابتعادهن عن الامومة .

وان بلداً كليبنا ، لا يعاني المشكلة التي تعانيها اكثر بلدان
الارض من عدم التوازن بين عدد النساء وعدد الرجال فيها باستطاعته ،
اذا فكر ونظم ووجه اجتهاداً وان يثقل ثقلها شبه تلم على مشكلة عدم
الزواج . والى اللواتي يرين بأن الامومة ممكنة دون تخصص ، اقول
بأن الامومة ، وواجبها بناء الناس ، تحتاج على الاقل ، الى تخصص
لا ينقص من تخصص المهتمين ببعض فروع بناء الناس بالمطلب ، مثلاً وهو
الذي يبنى بيئنا . اجساد الناس ا او لتعلم وهو الذي يبنى بيئنا . معقولهم .
وذلك ما يقودنا الى الجواب على الفتاة الثالثة التي تعتقد بأن
الطموح العلمي لا يجوز ان يقف عند الامومة .

فهل بين فتياتنا من تلمح الى علم اعلى من الطب ؟ ومع
ذلك تلمح النفس فرع من فروع الامومة .

وهل بين فتياتنا من تلمح الى تخصص اعلى من علم النفس ؟ . .
ومع ذلك تلمح النفس فرع من فروع الامومة .

وربما تلمح الى تخصص اعلى من علم النفس فرع من فروع الامومة .
وربما تلمح الى تخصص اعلى من علم النفس فرع من فروع الامومة .
على غير الاحتمالات ارجحية عند الطفل ، والى امام الفلسفة لتأكد
من صواب اتجاهاته العقيلة ، والى امام محلي بالاجتماع لتهيئة الجو
الصالح لنشوء الطفل . كما تحتاج الى معرفة الفتن لتتجنب الفتن عند
طفولها ، والى معرفة بالاقتصاد لضبط اقتصاديات بيتها ، والى اطلاق
واع . على الحضارة الانسانية لكي تستطيع ان تنقل طفلها في اشهر
طفولته من عهد الاول الى القرن العشرين . فضلاً عما تحتاجه من
تخصص في التصرف لكي تحل جوئيتها الى جو غبطة وبركة وسلام .
فهل عندنا كثرات من الامهات صاحبات مثل هذا الاختصاص
العالي ، الذي يفوق اختصاص المتخرجين الى معهد البوليتكنيك ؟
واذا كان الجواب هو اتنا ما برحنا منذ القديم نثقي . الاولاد
«وتربيتهم» دون ان نحمل انفسنا «المهم» ، فالرد هو ان مشاكلنا
كلها ترجع الى الذين انشأناهم دون ان نحمل امهاتهم هذا «المهم» .
قد يصعب باستطاعتنا ان نطلب هذا الاختصاص الصعب ،
ولكن ، بعد ان يكون مستوى التربية والثقافة العام قد ارتفع
عما هو اليوم ، بحيث تصبح نشأة الفتاة بعد ذاتها تخصصاً بالامومة .

«الشراع»
سريفي العلوف

